الفكر التربوي
في كتاب "أدب الإملاء والاستملاء"
للسمعاني (ت ٥٦٢هـ)

إعداد
دكتور مصطفى رجب
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية بسوهاج
جامعة أسيوط

محتويات البحث

أولاً : القسم التمهيدى

مقدمة :

على الرغم من التوسع النسبى للبحوث التربوية فى مجال الفكر التربوى العربى الإسلامى ، فإن هناك مشكلة لم تعطها تلك البحوث ما ينبغى لها من أهمية وهى مشكلة : المنهج . ونعنى بها " اتجاهات البحث " التربوى عند فلاسفة التربية المسلمين أو مفكرى المسلمين بوجه عام ممن تصدوا — من بعيد أو مباشرة — للتنظير التربوى ، أو رصد ظواهر تربوية كائنة بالفعل .

فهل البحث فى التربية العربية القديمة يفتقر إلى منهج بحث ؟ وهل افتقاد مثل هذا المنهج — إن كان حقيقة واقعة — يعود إلى مفكرى العرب القدماء أو يعود إلى افتقار الباحثين الحاليين إلى مثل هذا المنهج ؟ .

إن صعوبة الإجابة على مثل هذا التساؤل تكمن بالدرجة الأولى فى اتجاهات البحث التربوى المعاصر والتى تميل إلى التجريب والبحث الميدانى فى " فنّيات " عملية التدريس أو الجوانب المختلفة المرتبطة بأدارة التعليم وتنظيمه وتمويله . وتتغاضى — بقصد أو بغير قصد — عن عملية " تأصيل " النظم التربوية المعاصرة اكتفاء ببعض المسلمات التقليدية وفى مقدمتها أن التربية أصبحت " مؤسسية " أكثر منها فردية . واصطبغت بالصبغة العلمانية نتيجة توالد الفكر التربوى العربى الحديث بين أحضان الاستعمار الغربى .

وقد يدفعنا هذا الموقف المتجاهل لضرورة الربط بين التربية العربية الحديثة والتربية العربية القديمة إلى سؤال أساسى آخر يطرح نفسه وهو :

- ما أهم معالم التربية العربية القديمة ؟ .

وهو سؤال أجابت عليه بحوث متخصصة فى تاريخ الفكر التربوى العربى ، ويمكن من خلال النظرة الشاملة الخروج بنتيجة مؤداها أن التربية العربية القديمة اتخذت نمطين واضحين :

الأول : النمط الأخلاقى الوعظى الذى يقوم على اقتراح مثاليات يسردها المفكرون العرب القدامى تحت اسم " آداب المتعلم " أو " آداب المعلم " ، وأحياناً تحت اسم " شروط التعليم " وهذا النمط هو الأكثر شيوعاً .

الثاني : النمط العملى وهو الأقل شيوعاً ويمكننا أن نلمسه بوضوح فى كتابات الفقهاء المربين - وبصفة خاصة عند الشافعية - الذين اهتموا بمناقشة جوانب محددة ومتجددة مثل قضية أجور المعلمين والأوقاف التى يوقفها الأثرياء للإنفاق على الطلاب والمعلمين وشروط الحسبة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ... إلى آخر هذه القضايا التى يغلب على تناولها الطابع العملى المتمثل فى اصدار اجتهادات تشريعية متجددة تناسب ما طرأ على عملية التربية والتعليم من تحديث دائم . ودراسة هذا الجانب تعطينا فكرة واضحة ليس فقط عن تطور نظم التعليم ولكن أيضاً عن مواكبة الفكر التربوى العربى لتطور النظم التعليمية .

وعندما اطّلع الباحث على كتاب أدب الاملاء والاستملاء للسمعانى وجد أنه يمكن الحاقه بهذا القسم الأخير برغم أن السمعانى مؤرخ بالدرجة الأولى ثم محدث ولم يشتهر كفقيه من فقهاء المذاهب الذين أشير إليهم سابقاً . ومن هنا كان هناك دوافع ذاتية وموضوعية لاختيار هذا البحث .

دوافع اختيار البحث

أولاً : الدافع الموضوعى

وهو ضرورة ربط التربية العربية الحديثة بالقديمة لأن التعرف على التراث - كما يقول فاخر عاقل (١-١١) - طريق من طرق تأصيل التربية العربية الحديثة . ويرى فاخر عاقل أن ذلك لايمكن التوصل اليه من خلال الاصطدام المباشر بكتب التراث لكل من شاء ، بل يكون من الأفضل أن توجه بعض الدراسات التحليلية لتنير الطريق أمام الراغبين .

ثانياً : الدافع الذاتى

ويتمثل فى رغبة الباحث فى إبراز نقاط معينة استوقفته خلال جولاته - بحكم التخصص الأصلى والهواية - فى كتب التراث ، ورأى أن فى إلقاء الضوء على هذه النقاط إثراء للبحث التربوى الحديث فى مجال الدراسات التاريخية التى تتميز بالندرة أو بصعوبة التعامل مع أدواتها الأساسية .

مشكلة البحث

إن المشكلة الرئيسية فى هذا البحث ليست كالمشكلات التى يمكن صوغها فى عبارة قصيرة كشأن البحوث الاحصائية أو الميدانية بوجه عام • ولكن قد يكون من الأفضل صوغها من خلال عدة أسئلة صغيرة تبرزها • وهى :

١ — ما أهم الآراء التربوية التى تضمنها كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ؟ •

٢ — هل هناك وجه للمقارنة بين بعض هذه الآراء المبكرة وبين آراء المربين المحدثين ؟

٣ — إلى أى حد يمكن الإفادة من هذه الآراء فى التربية الحديثة ؟ •

إن إجابة هذه الأسئلة من خلال البحث حددت المشكلة وأبرزتها فى " أقرب " صياغة مقبولة وهى " التعرف على الآراء التربوية للسمعانى من خلال كتاب أدب الإملاء والاستملاء فى ضوء الفكر التربوى الحديث " •

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج التاريخى فى الرجوع إلى المصادر الأصلية للبحث من كتب التراث ذات الصلة والتحقق من أسماء الشخصيات التاريخية والروايات المسندة إليها عند اللزوم • كما استخدم المنهج التحليلى فى تحليل نصوص الكتاب وتصنيفها فى عدة محاور وموازنتها ببعض معطيات الفكر التربوى الحديث •

من هو السمعانى ؟

المعلومات المتاحة عن السمعانى فى المصادر التاريخية المعروفة قليلة الفائدة فيما يخص البحث الحالى • وهى قليلة بوجه عام ومتكررة من مصدر إلى آخر • والاختلافات فيما بينها — بالنسبة للمعلومات الأساسية — طفيفة •

فالسمعانى هو تاج الدين أبو سعد عبد الكريم بن أبى بكر محمد بن أبى المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجابر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار ابن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد المجيب التميمى السمعانى المروزى • هذه هى سلسلة نسبه كما نقلها ابن خلكان فى وفيات الأعيان (٢ : ٢٠٩) • ومن المعروف فى التاريخ العربى أن الشخص له إسم وكنية ولقب • فاللقب علامة على أبرز صفة فيه

أما أشتهر به بين الناس تكريماً له أو تعريفاً به مثل : الصديق لأبى بكر رضى الله عنه أو الفاروق لعمر بن الخطاب رضى الله عنه والكنية هى اللفظ المصدر بكلمة أب أو أم والاسم هو الذى سمى به عند مولده • وبذلك يكون تجريد إسم السمعانى هو : عبد الكريم بن محمد ابن المنصور وأما نسبته : التميمى فترجع إلى قبيلة تميم التى ينتمى إليها ،والسمعانى فترجع إلى سمعان وهو بطن من بطون قبيلة تميم (أى جزء من القبيلة وكان يقسمون القبيلة بطوناً وأفخاذاً فهى مصطلحات معروفة فى كتب التراث) والمروزى نسبة إلى مدينة (مرو) الخراسانية التى ولد بها ومات بها وهى نسبة غير قياسية لغويا ،فالقياس أن يقال مروى ولكنهم تعارفوا على إضافة حرف الزاى حين ينسبون إليها فيقولون مروزى واشتهر ذلك وأصبح معروفاً فى كتب الصرف • والمسموع فى اللغة له قوة المقيس بل ربما زاد عليه عند بعض اللغويين •

الخلاصة أن عبد الكريم بن محمد بن المنصور المكنى بأبى سعد والملقب بتاج الدين والمنسوب إلى سمعان أو تميم أو مرو • اشتهر بنسبته إلى الفرع الذى ينتمى إليه من قبيلة تميم وهو : سمعان • فصار يعرف بين من جاءوا بعده بالسمعانى أو إبن السمعانى •

وقد ولد السمعانى فى مدينة مرو يوم الاثنين ٢١ شعبان سنة ٥٠٦ هـ وتوفى بها فى غرة ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ أى أنه عاش نحو ست وخمسين سنة •

بيئتـــه :

ولد السمعانى فى بيت مشهور بالعلم فجده المنصور (٤٢٦ـ٤٨٩ هـ) أمام عصره ـ كما يقول المؤرخ إبن خلكان ـ بلا مدافعه ،وكان حنفى المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعى وصار إمام الشافعية تدريساً وإفتاء • وله مؤلفات كثيرة منها " منهاج أهل السنة " و " الانتصار " و " الرد على القدرية " وله فى أصول الفقه كتاب " القواطع " وفى الخلاف كتاب " البرهان " يشمل على قريب من ألف مسأله خلافية ،وله " تفسير القرآن العزيز " وجمع فى الحديث ألف حديث رواها عن مائة شيخ •

وأما أبوه محمد بن المنصور (٤٦٦ـ٥١٠هـ) فقد كان عالماً وإماماً فاضلاً ومحدثاً وفقيهاً شافعياً • وله ـ فى الحديث فيما يبدو ـ مصنفات أشار اليها من أرخوا له وكان له شعر تخلص منه قبل وفاته على عادة علماء الدين الذين ينفرون من قول الشعر ويبدو أنه

قضى وقتاً طويلاً من حياته فى بغداد مدرساً فى المدرسة النظامية لمادة الحديث.

إن نشأة السمعانى فى بيت علم مثل هذا البيت وفرت له منذ بداية حياته فرصاً قد يفتقر إليها غيره من لقاء العلماء الذين كانوا يزورون هذا البيت ويعرفون لأصحابه فضلهم ومكانتهم . كما كان لذلك أثره فى دفعه إلى التعلم فى سن مبكرة فإذا عرفنا أن أباه توفى سنة ٥١٠ هـ وأنه هو نفسه ولد سنة ٥٠٦ هـ أدركنا انه لم يقصد فى حياة أبيه إلا أقل من أربع سنوات (كانت وفاة أبيه فى صفر ٥١٠ هـ وولادته هو فى شعبان ٥٠٦ هـ) ومع ذلك يروى فى ترجمته لأبيه أنه حمله وأخاه إلى مدينة نيسابور بعد عودته من بغداد وهناك سمعا الحديث من أبى بكر عبد الغفار بن محمد الشيروى وغيره . أى أنه بدأ الجلوس فى حلقات العلم وهو فى سن مبكرة جداً .

ويروى السمعانى أنه لقى من الشيوخ — طوال رحلة حياته العلمية — عدداً يزيد على أربعة آلاف شيخ ويبدو أن علاقته بهم — أو بمعظمهم — كانت تقوم على تقدير عظيم له فأننا نجد أن بعضهم حين كان يخرج لتوديعه عند زياراته لهم يبكى مما يدل على قوة علاقته بهم وإكبارهم لمكانته .

رحلاته :

كانت لرحلة لطلب العلم من أبرز مصادر التعلم فى تلك الحقبة . وقد أصاب السمعانى حظاً عظيماً من الرحلة فقد سافر إلى ما وراء النهر وبلاد خراسان عدة مرات ، كما سافر الى قومس والرى وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام ولعل هذا يفسر لنا ولعة بالتاريخ وقدرته على استيعاب كثير من الأحداث التاريخية ومعرفته الجيدة بالأنساب.

مؤلفاته :

وعلى الرغم من رحلاته المستمرة وعمره المتوسط فقد ترك السمعانى ثروة من المؤلفات التى يذكر بعض الباحثين (٣—١٠٣) أنها بلغت خمسين مؤلفاً إلا أن الموجود منها حالياً أقل بكثير . أو ربما يكون الذين ذكروا هذا الرقم اعتبروا الكتب ذات الأجزاء الثمانية ثمانية كتب منفصلة . مثلا .

ومن أهم مؤلفاته المشهورة :

١ ـ كتاب الأنساب : وهو أشهر مولف معروف له حالياً بين دارسي التاريخ وعلوم التراجم ويذكر ابن خلكان أنه كان في نحو ثماني مجلدات ثم اختصره ابن الاثير الجـــزري إلى ثلاثـــة مجلدات واستدرك عليه ويضيف ابن خلكان " والمختصر هو الموجـــود بأيدي الناس والأصل قليل الوجود " .

٢ ـ " تذييل تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي(*) في نحو خمسة عشر مجلداً .

٣ ـ تاريخ مرو ـ يزيد على عشرين مجلداً .

٤ ـ فرط الغرام إلى ساكني الشام (٨ أجزاء) .

٥ ـ التحبير في المعجم الكبير) كتب ما تزال مخطوطة طبقا للزركلي .

٦ ـ تبيين معادن المعانـــي)

٧ ـ في لطائف القـــرآن

٨ ـ أدب الامـــلاء والاستمـــلاء (وهو موضوع هذا البحث)

٩ ـ طراز الذهب في أدب الطلب (وقد ذكره بنفسه في خلال كتاب أدب الإمـــلاء والاستملاء عدة مرات ويبدو أنه كتاب تربوي أيضا .. ولكنه مفقود فيما يظهر إذ لـــم يجد الباحث أي اشارة إليه في المصادر المتاحة عدا طبقات السبكي ، ولم يعثـــر عليه في قائمة المخطوطات بدار الكتب المصرية) .

منهج البحث عند السمعاني :

من القواعد المشهورة في منهج البحث التاريخي أن يكون المؤرخ على دراية واسعة بكيفية استنباط الأحداث ، وترجيح القوى على الضعيف ، ونقد المادة التاريخية التي يتعامـــل معها وعدم قبول الروايات على علاتها .

(*) الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ويغلب عليه لقبه : الخطيـــب البغدادي صاحب تاريخ بغداد (٣٩٢هـ ـ ٤٦٣هـ) ذكر ابن خلكان (٢٧/١) أن له أكثر من ستين مصنفاً . وأورد منها ياقوت الحمـــوي في معجم الادباء (١٩/٤) أسماء ستة وخمسين . ويبدو من عناويـــن بعضها أن له طابعا تربويا مثل (كتاب تقنيين العلم ـ كتاب الرحلة في طلب الحديث ـ كتاب الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامـــع ـ كتاب الكفاية في معرفة علم الرواية وغيرها) وللأسف ينقل ياقوت روايـــة ـ يبدو أنها عن أبي الفرج الاصفهاني ـ مقتضاها أن هذه الكتب احترقت في دار ابن الخطيب ـ راجع معجم الادباء جـ٤ ص ٢٧ على أن بقاء تاريخ بغداد يجعل المسألة قابلة للبحث والتحقيق .

وهذه القواعد لا تخرج كثيراً عن قواعد البحث عند المحدثين ، وربما كان الفضل في شهرتها يرجع إلى المحدثين أولاً ، فهم الذين بدأوا بدراسة سلسلة رواه كل حديث وألفوا الكتب المطلولة عن رجال الحديث (الرواه) من حيث سلوكهم وما عرفوا به من عدالة وضبط وتطورت المباحث في هذا الميدان حتى صارت علماً مستقلاً بذاته يدرس في الكليات الآن بأسم " علم الجرح والتعديل " ويقصد بالجرح وصف راو من الرواه بأنه غير ثقة وله درجات عندهم مثل " إرم به - غير موثوق - كذاب - كذوب - ليس بشيء - أكذب الناس " ، وذلك حسب حالته المعروفة عنه ، وانطباق وصف من هذه الأوصاف على واحد من سلسلة الرواه كاف للتشكيك في صحة الحديث إذا كان مروياً عن طريق هذه السلسلة فقط ، ويتصل بهذه القاعدة قواعد أخرى كثيرة مثل معرفة تواريخ وفيات كل الرواه للتأكد من قول الراوى : سمعت فلاناً ، فيبحث علماء الجرح ما إذا كان هذان الشخصان قد التقيا فعلاً أو لم يلتقيا .

ويقصد بعلم " التعديل " وصف راو أو أكثر بالعدالة والضبط ووصفه بإحدى الصفات التي يستخدمونها في هذه الحالة مثل : " ثقة - صدوق - أصدق الناس وما إليها .. " .

ونقد الحديث من خلال التعرف على أحوال الرواه يسمى بنقد " السند " أي سلسلة رواة الحديث ، ويسمى اصطلاحاً " علم رجال الحديث " أو " علم الجرح والتعديل " ، أو " علم الرجال " وفي النهاية يعرف بعلم الرواية .

وهناك النقد الذي يوجه إلى مضمون الحديث نفسه فيما يتصل باتفاقه مع القرآن الكريم أو اختلافه ، أو فيما يتصل بموضوع الحديث ذاته فقد يكون قابلاً للشك في ذاته كتلك الأحاديث الكثيرة التي تم وضعها لأسباب سياسية بعد نشأة الفرق وتصارعها ، وهذا يسمى بعلم الدراية .

ومن خلال علمي الرواية والدراية ، أو معرفة السند والمتن ، يتم الحكم على الحديث وتصنيفه في درجة من درجات القبول أو الرفض ، وليس هناك علاقة لازمة بين المتن والسند فقد يصح السند من حيث عدالة الرواة وضبطهم ولا يكون الحديث صحيحا لعلة تقترح في متنه وقد يصح المتن ولا يصح السند ويعرف ذلك من خلال سند آخر (أي سلسلة رواه آخرين) .

ويؤدي ذلك إلى تصنيف الحديث إلى قسمين رئيسيين :

- حديث مقبول .
- حديث ضعيف

وينقسم المقبول إلى : صحيح وحسن ولهما تفريعات أخرى لا مجال لها هنا .

كما ينقسم الضعيف إلى : معلق ومنقطع ومفضل ومرسل ومدلس وأيضا لهذه التقسيمات تفريعات وتفصيلات لا مجال لها هنا (*) .

والذى يهمنا هنا أن السمعانى كان حائزاً على لقب " الحافظ " وهو لقب علمى حيث تفرد علماء الحديث والعارفون به من بين العلماء العرب فى شتى التخصصات بوضع ألقاب علمية تدل على حصيلة صاحبها من الحديث مثل : الحافظ ، والحجه ، والثبت ، وأمام المؤمنين فى الحديث... الخ . فلم يكونوا يستخدمون هذه الألقاب اعتباطاً كما قد يتبادر إلى الذهن ، أو مجاملة كما كان يفعل غيرهم من علماء اللغة أو الأدب أو غيرهم حيث يطلقون صفات مثل العالِم العلّامة وغيرها ..

فدرجة الحافظ تدل على أنه كان يحفظ قدراً معروفاً من الحديث ، وهذا يجعلنا نطمئن إلى أنه استكمل معرفة مناهج البحث عند المحدثين . فضلاً عن أنه مؤرخ لديه معرفة واسعة بشروط المؤرخ وما يحتاج إليه من أدوات .

وفيما يلى سنضرب أمثلة لطريقته فى البحث والتى تتميز بالدقة التى هى شرط لازم من شروط البحث فى علوم الحديث أو التاريخ ثم نستنتج من خلالها معالم منهج البحث الذى اتبعه :

(١) سار فى كتابه " أدب الإملاء والاستملاء " على الوتيرة التاليه :

١ / أ : يذكر الرأى الذى يريد أن يقوله .

١ / ب : يستدل على صحة هذا الرأى بآيات قرآنية إن وجدت ، ثم بالحديث ثم

(*) يمكن الرجوع الى المصادر التالية لمعرفة جهود علماء السنة فى تنقية الأحاديث.

١ـ الأباطيل لأبى عبد الله الحسين بن ابراهيم (ت: ٥٤٣هـ) .

٢ـ الموضوعات الكبرى (استدرك فيها ابن حجر العسقلانى (ت: هـ) ٢٤ حديثاً ذكرها ابن الجوزى (ت: ٥٩٧هـ) فى كتابه " الموضوعات " .

٣ـ اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى (ت: ٩١١هـ) .

٤ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبى الحسن على بن عراق الكنانى (ت: ٩٦٣هـ) .

٥ـ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى (ت : ١٢٥٠هـ) .

بأقوال العلماء والتابعين مرتبين حسب مكانتهم وشهرتهم .

١/جـ : يذكر سلسلة رواته ناسباً كل راو منهم إلى البلد التى يقيم بها . ويدرس بها . أو إلى المكان الذى سمع منه هذا الحديث منه .

١/هـ : يذكر أساتذته دائماً مسبوقين بلقب " شيخى أو أستاذى أو شيخنا " .

(٢) أحيانا يحيل القارى إلى كتب أخرى كقوله ص ١٦٠ - بعد أن ذكر أدوات الكتابة التى كانت مستخدمة قبل عصره مثل الجلود والألواح وغيرها :

" وقد ذكرت هذه الأنواع بأسانيدها فى كتاب أدب الطلب ومن رامها فليرجع إليه "

وقال بعد أن انتهى من الكتاب (ص ١٨٠) : " انتهى ما سبق به القول فى جمع آلاملاء والاستملاء على الاختصار ومن أراد الفصول مستوفاه فليطالع كتابنا الموسوم بطراز الذهب فى أدب الطلب " .

(٣) يستخدم أحيانا ألفاظاً درج على استعمالها الفقهاء لأنها تدل - فى المصطلح الفقهى - على أحكام مثل : ويستحب كذا - ويكره كذا ، ويجوز كذا (*) .

(٤) يربط فى كثير من الأحيان بين أخلاقيات العمل التربوى التى يتبناها وبين المأثور الدينى . فمثلاً يقول ص ١١٩ فى حالة دخول جماعة من الطلبة على أستاذهم يجب أن يتقدمهم أكبرهم سنا ويعقب على ذلك بقوله : " .. فإن ذلك من السنة " ثم يستدل بحديث شريف .

(٥) يبدو تطبيقه لمنهج المحدثين واضحاً حين يستدل بحديث شريف لتأييد رأيه أو المبدأ الذى ينادى به . ثم نجده بعد ذلك ينقد هذا الحديث سنداً أو متناً - مع أنه استشهد به - وهو فى ذلك يسير على ما اتفق عليه علماء الحديث من جواز

(*) لا تستخدم هذه الألفاظ اعتباطاً ، بل أن لها دلالة فى تحديد الحكم الشرعى أو التكليفى الذى قسموه إلى خمسة أقسام : الحرام : وهو ما يترتب على فعله عقوبة ونهى الشرع عن فعله نهياً صريحاً على سبيل الإلزام ويليه المكروه : وهو ما يترتب على تركه ثواب ولا يترتب على فعله عقوبة وهو ما نهى الشرع عن فعله نهياً غير ملزم . ثم الواجب : هو عكس الحرام والمستحب (ويسمى أحيانا المندوب) وهو عكس المكروه ، أى ما طلب الشرع فعله طلبا غير ملزم . والقسم الخامس المباح : وهو الذى لا عقوبة على فعله ولا على تركه ولا ثواب أيضا مثل الأكل والشرب من المباحات وفى الأوقات المباحة . والمستحب كإفشاء السلام والواجب كالصلاة والمكروه كسؤال الإنسان عما لا يعنيه والحرام كالخمر والزنا .

العمل بالحديث وإن كان ضعيفاً فى فضائل الأعمال ، اذا لم يوجد فى الباب غيره (أى إذا لم يوجد نص آخر فى المجال المقصود) • فعلى سبيل المثال بعد ذكره حديث أسامه بن زيد عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أوتى جبريل أن أكبر " أى أقدم الكبار وأحفظ لهم مكانتهم • ص ١١٩ ، عقب السمعانى ناقلاً نقد الطبرانى لهذا الحديث بقوله : " قال الطبرانى لم يرو هذا الحديث عن نافع إلّا أسامه بن زيد تفرد به ابن المبارك الإمام " •

وفى موضع آخر نجده يروى ما سمعه من رواية موقف حوارى دار بين الخليفة المأمون ورجل مصرى عندما زار المأمون مصر ، وفى هذا الموقف يرد ما يدل على أن المأمون سمع الحديث من حماد بن سلمه وحماد بن زيد • وبعد انتهاء الرواية كما سمعها السمعانى يعقب عليها بقوله :

" فى هذا الخبر غلط فاحش ••• وذلك أن مولد المأمون كان فى سنة سبعين ومائه (١٧٠ هـ) ومات حماد بين سلمة فى سنة سبع وستين ومائة (١٦٧ هـ) قبل مولده بثلاث سنوات ، وأما حماد بن زيد فمات فى سنة تسع وسبعين ومائه (١٧٩ هـ) (ص ٢٠) فهو هنا يعقب على الرواية كمؤرخ مدقق يهدم الرواية بدليل قوى وهو عدم تلاقى المأمون والحماديين •

(٦) يعكس منهجه البحثى مصادر المعرفة عنده ، وتتمثل فى :

٦ / أ : قراءاته وهى ترد صريحة بذكر إسم الكتاب ومؤلفه •

٦ /ب : مشاهداته فى خلال رحلاته ويشير إليها بأستمرار .

٦ /ج : مراسلاته : فقد يستشهد برسالة وردت إليه من علماء يراسلونه على ما يريد إثباته •

وخلاصة ما يمكن استنتاجه أن منهج البحث عند السمعانى يتميز بما يلى :

أولاً : طبيعة منهج البحث عند المحدثين هى الأكثر سيطرة عليه •

ثانياً : طبيعة منهج البحث عند المؤرخين تليها فى الدرجة من حيث الشيوع •

ثالثاً : يتميز بالدقة فى سرد الأحداث ونقدها •

رابعاً : يذكر سلسلة من سمع منهم كاملة •

خامساً : يذكر مصادر معرفته دائماً •

وللتدليل على صحة ما استنتجناه نسوق مثالاً يعكس ثقة مشاهير المؤرخين المتأخرين عنه بعلمه كمؤرخ ونقلهم عنه :

فقد روى ياقوت الحموى فى معجم الأدباء (٤ / ٢٩) وهو يترجم لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز أنه (أى القزاز) سمع من الخطيب البغدادى كتابه عن تاريخ بغداد إلا الجزء السادس والثلاثين فقد فاته سماعه يوم وفاة أمه فلم يكتبه عنه لأن الخطيب كان لا يعيد ما فات من دروسه . ذكر ياقوت هذه الرواية نقلاً عن السمعانى ثم أضاف بعدها تعقيباً للسمعانى يدل على دقته ومنهجه الصارم فى التوثيق يذكر فيه السمعانى أنه لما رجع إلى خراسان حصل على نسخة من كتاب تاريخ بغداد المملوك للقزاز بخط شخص يسمى " شجاعاً " فتفقد السمعانى الأجزاء ووجد الجزأين : السادس والثلاثين قد فاتاه فعلاً . وحكم السمعانى على شجاع الكاتب بأنه : " أعرف الناس " (على طريقة المحدثين فى استخدام صيغة " أفضل " فى تقدير الرجال) وقال : " فيكون قد فاته الجزءان المذكوران لاجزء واحد " .

كتاب أدب الإملاء والاستملاء

طبع هذا الكتاب لأول مرة بعناية المستشرق ماكس فايسفايلر سنة ١٩٥٢ ثم أعادت طبعه دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨١ عن الطبعة الأولى نفسها . وقد اعتمد ماكس فايسفايلر فى اعداده للكتاب قبل طبعه على مؤلفات ٢٩ تسعة وعشرين مؤلفاً من مشاهير العرب فى شتى التخصصات مثل : أحمد بن حنبل — البخارى — ابن الأثير — الترمذى — ابن خلكان — السيوطى — ابن حجر العسقلانى . . . وغيرهم . إلا أن لنا مآخذ على ما قام به المستشرق . هى :

(١) أنه لم يشر إلى الأصول المخطوطة التى اعتمد عليها . وهذا يفقد عمله جزءاً كبيراً من الأهمية ففى مرات كثيرة يشير فى الهوامش إلى تعديلات قام بها فى النص ويقول (تشويه فى الأصل) ولم يضع فى المقدمة أى اشاره إلى مكان وجود النسخة الأصلية التى التى اعتمد عليها هذه .

(٢) أن عمله فى نشر الكتاب انحصر فى الاتى :

(أ) تخريج الآيات القرآنية (أى ذكر رقم السورة ورقم الآية) .

(ب) الإشارة إلى أماكن وجود أسماء البلدان فى المصادر الأخرى وبخاصة تلك المهتمة بالجغرافية مثل معجم البلدان لياقوت الحموى .

(جـ) ضبط أسماء الأعلام مستعيناً في ذلك بمصادر أخرى من بينها كتاب الأنساب للسمعاني وغيره.

(د) تخريج الأحاديث النبوية الشريفة تخريجاً ناقصاً طبقاً لقواعد علم التخريج.

(٣) أن تخريجه للأحاديث اقتصر على الاشارة إلى موضع ورود الحديث في مصادر أخرى أحياناً تكون أصلية، وأحيانا يكتفي بتحديد مكان الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (تحرير المستشرق فنسنك) وهو معجم تقتصر خدماته على تحديد أماكن وجود الحديث.

ومعروف في علم التخريج أن التخريج الكامل يقتضي موازنة الروايات نقصاً وزيادة. وموازنة طرق الإسناد، والحكم على درجة الحديث صحة وضعفاً وهذا مالم يلتزم به ماكس فايسفايلر.

(٤) لم يقم بشرح بعض الكلمات الصعبة التي تحتاج إلى شرح والتي يستعصى فهمها على القارئ ـ بل وربما خاصة القراء أيضا ـ مما أفقد عمله أيضا جزءاً من التقدير.

والخلاصة أن الكتاب طبقاً لنشرة ماكس فايسفايلر ليس كاملاً ولا يعتبر مفيداً للقارئ الذي لا يستطيع التعامل مباشرة مع نص مملوء بالعنعنه وكل ما قام به الناشر هو ضبط النص وحتى هذه الميزه تفقد قيمتها في ضوء اغفاله لمصادره المخطوطة التي اعتمد عليها.

ونخلص من ذلك إلى أن الكتاب بحاجة إلى تحقيق جديد يتلافى جوانب هذا النقص.

القيمة التربوية للكتاب

يتميز كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني بعدة مزايا تجعله ذا قيمة تربوية تستحق الدراسة منها:

(١) أنه كتاب كامل مكرس لبحث قضايا التعليم فقط. وليس من تلك الكتب الموسوعية التي تضم التعليم بين طياتها بوصفه تكملة لموضوع ما، أو استطراداً لحديث ما.

(٢) أنه تناول قضايا تعليمية متعددة منها:

(أ) أخلاقيات التعليم كمهنة.

(ب) موضوعات التعليم.

(جـ) التفاعل اللفظى بين المعلم والمتعلم .

(د) صفات المعلم الناجح .

(هـ) واجبات المتعـــــلم .

(٣) أنه يحتوى مادة علمية تقدم لنا صورة تاريخية للتعليم فى النصف الأول من القـــــرن الخامس الهجرى من حيث :

(أ) أدوات التعليم ووسائله .

(ب) طرق التدريس.

(جـ) الإطار الدينى للممارسات التعليمية .

(٤) أن المؤلف ينتمى إلى مدرسة المحدثين التى وضعت لنفسها منهجاً بحثياً خاصاً فـــى توثيق المادة التاريخية . وقد استخدم المؤلف هذا المنهج فى عرضه لكل جزئيـــــة من جزئيات كتابه .

(٥) أن الكتاب يعد واحداً من المصادر التى تؤرخ لمرحلة تعليمية متقدمة يمكـــــــن اعتبارها مرحلة التعليم العالى التى كانت تضم :

- الأستاذ / (المملى)
- مساعد الأستاذ (المعيد أو المستملى) .
- الدارس.

وقد أشار كثير من مؤرخى التربية الإسلامية إلى هذه المرحلة على أنها الصــــــورة القديمة للتعليم العالى فى البيئة العربيـــة .

ثانياً : الدراسة التحليلية للكتاب

وتضم المباحث التالية :

١ ـ أخلاقيات المهنة.
٢ ـ صفات المعلم الناجح .
٣ ـ التفاعل اللفظى بين المعلم والمتعلم.
٤ ـ طرق التدريس.
٥ ـ صفات المعيد (مساعد الأستاذ) وواجباته .
٦ ـ سلوك الطلاب.
٧ ـ أدوات التعليم

أولاً : أخلاقيات المهنة

يجعل السمعانى " التخلق بالأخلاق السنية والاقتداء بالسنن النبوية " هو الهدف الأساسى لعمليتى التعليم والتعلم (الإملاء والاستملاء) ويوضح فى بداية الكتاب أنه وضع كتابه خصيصاً لتحديد ما يراه واجبا من هذه الآداب التى يجب أن يتحلى بها المملى والمستملى فيقول :

" واقتصرت (أى فى الكتاب) على ايراد مالابد منه ولا يستغنى عنه المحدث الألمعى والطالب الذكى . ويحتاج إليه غيرهما ممن يريد معرفة آداب النفس واستعمالها فى الخلوة والمجالس. " (ص١)

وهكذا يتضح الاهتمام الخلقى للسمعانى من أول سطور كتابه ويتبع ذلك بالاستشهاد بحديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ان الله أدبنى وأحسن أدبى ثم أمرنى بمكارم الأخلاق . فقال " خذ العفو وأمر بالعرف " (الآية) (١) . ثم يضيف آثاراً أخرى تربط بين العلم والأدب (والأدب هنا بمعنى الخلق الحسن فقط) كقول الإمام على بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى تفسير قوله تعالى : " قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ".(٢) : أى علموهم وأدبوهم .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩
(٢) سورة التحريم ، الآية : ٦

ثم يرى أن من أهم أخلاقيات المعلم اذا كان محدثاً أن يهتم بإسناد الحديث أى بذكر سلسلة رواته • ويشدد على إنكار رواية الحديث بغير اسناد مستشهداً على ذلك بأقوال كثير من العلماء مثل الزهرى وابن سيرين وسفيان الثورى وغيرهم •

ثم يخصص بعد هذا المدخل فصلاً لآداب الملى ويمكن أن نستخلص من تحليلنا لهذا الفصل أن أهم أخلاقيات مهنة التعليم عنده ما يأتى :

(١) أن يراعى المعلم وضعيته الإجتماعية خارج مكان التعليم :

ونستنتج ذلك من الآداب التالية :

١/أ : أن يقتصد فى مشيه وهو فى طريقه إلى المجلس (مكان التعليم) ويروى فى ذلك حديثاً نبوياً عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " سرعة المشى تذهب ببهاء الوجه " •

١/ب : أن يبدأ غيره بالسلام •

١/جـ : أن يعم بالسلام كل من يلقاه حتى الصبيان •

١/د : ألا يخرج من بيته إلا بعد النظر فى المرآه والتأكد من اصلاح هيئته وأخذ زينته •

(٢) أن يتمتع باللطف واللباقة والخلق الحسن عامة :

ونستنتج ذلك من الآداب التالية :

٢/أ : إذا وصل المجلس أن يمنع من كان جالساً من القيام له فإن السكون إلى ذلك من آفات النفس •

٢/ب : أن يتعمل لطيف الخطاب مع أصحابه •

٢/جـ : أن يحسن خلقه مع أصحابه وأهل حلقته •

٢/د : أن يترحم على شيوخه الذين تعلم عليهم •

(٣) إحترام مواعيد العمل :

ونستنتج ذلك من قوله :

٣/أ : ينبغى للملى أن يعين لأصحابه يوم المجلس (يوم الاملاء أو التدريس) لئلا ينقطعوا عن أشغالهم • وليستعدوا لاتيانه ويعد بعضهم بعضا •

٣/ب وإذا عين لهم اليوم وعدد هم الاملاء فيه فلا ينبغى له إخلاف موعده • إلا أن

يقتطعه (يمنعه) عن ذلك أمر يقوم عذره به • (أي يواجهه أمر يكون عذره مقبولاً إذا اعتذر به) •

(٤) إلتزام الأمانة العلمية :

ونستنتج ذلك من الآداب التالية :

٤ / أ : أن يذكر لطلابه مصادر المعرفة التي يقدمها اليهم (يذكر لهم اسم شيخه أوأسماء شيوخه الذين يروى عنهم) •

٤ /ب : ألا يروى عن شيخ واحد بل يروى عن جماعة من شيوخه (تعدد مصادر المعرفة) •

٤ /جـ : ألا يروى إلّا عن الثقات•

٤ /د : أن يجتنب الرواية عن الضعفاء والمخالفين (فى علم الحديث بصفة خاصة)

٤ /هـ : أن يسكت عما لا يعرفه •

(٥) مراعاة أهداف التعليم :

ومن أخلاقيات المهنة ألا يغفل المعلم عن الهدف ألا الأهداف الرئيسة لعملية التعليم وقد أشار السمعانى إلى ذلك بوضوح حيث اشترط أن يراعى المعلم (المملى) الربط بين ما يقوم بإملائه وتدريسه وبين القيمة النفعية لهذا المعلم فى حياة المتعلم • ويمكن استنتاج ذلك من الآداب التالية :

٥ / أ : من أنفعها يملى الأحاديث الفقهية التى تفيد معرفة الأحكام الشرعية من العبادات وما تعلق بحقوق المعاملات•

٥ /ب : ويستحب إملاء أحاديث الترغيب فى فضائل الأعمال •وما يحث على الخير والذكر ويزهد فى الدنيا •

٥ /جـ : أن يتخذ من الوسائل ما يراه كفيلاً بتحقيق أهداف التعليم مثل اتخاذ مساعد له يعينه فى عمله (وهو المستملى أو المعيد وسيأتى الكلام عنه بالتفصيل) •

تعقيب :

يتضح مما سبق أن السمعانى - وإن كان معظم حديثه ينصب على تعليم الحديث الشريف - يضع ضوابط للمهنة يمكن اعتبارها ضوابط عامة لأنها معايير أخلاقية استنبطها من:

- نصوص شرعية (آيات وأحاديث)
- أقوال علماء معروفين من العصور السابقة أو من عصره ٠
- ممارسات عملية شاهدها أورويت له عن أوضاع مجالس العلم ٠

وهي ـ أى هذه الضوابط الأخلاقية ـ تنبثق من مفهومين :

- مفهوم شرعي : ينظر فيه إلى العلماء على أنهم ورثة الأنبياء في إبلاغ رسالتهم الدينية والتعليمية الى من لم يعاصرهم ٠ ولهذا المفهوم الشرعى أسانيده الصحيحة الثابتة ٠
- مفهوم اجتماعي : ينظر فيه الى المعلم على أنه قدوة لطلابه ٠ ٠ ومن هنا يجب أن تتوفر فيه مزايا أخلاقية ليس من الضرورى أن تتوفر فى غيره من أرباب المهن الأخرى وهذه المزايا الأخلاقية قد ترتفع أحيانا إلى درجة المثالية ٠ ومع ذلك تظل ـ في المفهوم الاجتماعي العام ـ واقعية بالنظر إلى مهنة التعليم بوصفها مهنة مقدسة اجتماعياً ٠

وتنحصر أخلاقيات المهنة التى أمكن استنتاجها من تحليل آراء السمعانى فى :ـ

(١) مراعاة الوضع الاجتماعي للمعلم خارج مكان عمله ٠

(٢) مراعاة أهداف التعليم ٠

(٣) احترام مواعيد العمل ٠

(٤) التمتع بالخلق الحسن فى سلوكه ٠

(٥) التزام الأمانة العلمية ٠

ثانيا : صفات المعلم الناجح

قد تلتبس صفات المعلم الناجح بأخلاقيات المهنة من جهة أن المعلم يكون ناجحاً بدرجة كبيرة إذا احترم أخلاقيات مهنته ٠ وبالتالى فقد يتكرر وضع عنصر مثل " الأمانة العلمية" تحت كلا العنوانين : أخلاقيات المهنة وصفات المعلم الناجح ٠

ولذلك يرى الباحث أهمية ايضاح سبب تفرقته بين العنوانين وجعل كل منهما مستقلا فالواقع أنه لجأ لهذا الأسلوب لسببين :

أولهما : أنه صنف فى أخلاقيات المهنة ما له صفة العموم ٠ أى ما يمكن استنتاجه من آراء السمعانى التربوية ويجوز أن ينسحب على معلم أى مادة مادام قد اتخذ التعليم مهنة له ٠

وصنف تحت " صفات المعلم الناجح " ما له صفة الخصوص: أي ما أورده السمعاني خاصاً بتعليم مجال محدد هو " الحديث الشريف " .

ثانيهما : إيمان الباحث بأن هذا التقسيم لغرض دراسي بحت . يهدف توضيح الفرق بين الاثنين . ولو كان الغرض غير دراسي - أي غرضاً تشريعياً مثلا - لجاز الربط بين الفكرتين تحت عناوين أخرى مثل " ميثاق شرف " أو ما شابه ذلك .

وبداية يمكن تقسيم صفات المعلم الناجح كما أوردها السمعاني بأكثر من صورة من صور التقسيم . فمثلا يمكن تقسيمها إلى :

- صفات خارج مكان التدريس .
- صفات داخل مكان التدريس .

أو إلى :

- صفات جسمية .
- صفات معنوية .

أو إلى :

- صفات تتعلق بشخصه .
- صفات تتعلق بعلاقته بطلابه .

ويعتقد الباحث أن النوع الأوسط من أنواع التقسيم هذه هو الأنسب هنا ، فضلاً عن أنه أكثر عمومية من النوعين الآخرين . ولذا فضل الباحث الأخذ به على النحو التالي :

(أ) صفات المعلم الجسمية

اهتم السمعاني بالمظهر الخارجي للمعلم . وهذا الاهتمام يعطينا فكرة جيدة عن أوضاع المعلمين في النصف الأول من القرن السادس الهجري في المجتمع العربي في العراق والشام إلى جانب أنه يعكس لنا بعض المفاهيم الدينية الخاصة بالقيمة الجمالية كقيمة أخلاقية حرص الإسلام على تأكيدها بنصوص شرعية . وحرص السلف على تأكيدها بسلوكيات عملية .

ويمكن إبراز مسألة " اصلاح هيئة المعلم " كما فهمها السمعاني وعبر عنها من خلال الخطوات الاجرائية التالية :

(١) الاستعداد للتدريس نفسياً وجسدياً من منطلق قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أن الله جميل يحب الجمال ويحب أن ترى نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس "

(ص ٢٠) فأستحباب رؤية النعمة على العبد يقتضى اللباس الحسن .

(٢) أن يكون المعلم " على أكمل هيئة وأفضل زينة ويتعاهد نفسه بأصلاح أموره التى تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين " .

وهو يروى فى ذلك ما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم من ارتداء ثوبين خصوصين كانا ينسجان له فى بنى النجار ، بغرض التجمل ، ويروى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه " انه ليعجبنى أن أرى القارئ النظيف " ويروى ما هو معروف عن الامام مالك من أنه كان اذا أراد أن يجلس للحديث (أى لرواية الحديث) اغتسل وتبخر وتطيب .

(٣) استخدام السواك .

(٤) قص الأظافر اذا طالت .

(٥) تهذيب الشارب .

(٦) تهذيب شعر الرأس بحيث لا يكون مشعثاً .

(٧) ارتداء الملابس البيضاء .

(٨) تكوير العمامة .

(٩) تسريح اللحية .

(١٠) استعمال الطيب والعطور .

(١١) النظر فى المرآة .

(١٢) المشى بخطوات معتدلة بغير اسراع .

(١٣) أن يجلس فى مجلس التدريس متربعاً متخشعاً .

(١٤) أن يأخذ موضعاً يراه فيه جميع الطلاب .

إن هذه المجموعة من الصفات الجسمية ينبغى أن ينظر إليها بمقاييس عصرها وليس بمقاييس العصر الحاضر . فهى فى إطارها التاريخى تعبر عن ثلاث حقائق :

* أهمية إدراك المعلم لقيمة الجمال .
* إدراك السمعانى لأثر البنية الجسدية للمعلم فى عملية التعليم .
* المزج بين السلوك الشخصى والتعاليم الدينية مزجاً طبيعياً يتحول به التشريع إلى سلوك عملى حياتى .

(ب) **صفات المعلم المعنوية**

ينبغي للمعلم أن يتحلى بعدد من الصفات غير الجسمية التي تجعل منه معلماً ناجحاً في مهنته . ويمكن استنتاجها من الآداب التالية :

(١) أن يراعي مستوى فهم الطلاب (لا يروى ما لا تحتمله عقول العوام) .

(٢) أن يشرح ما يصعب عليهم استيعابه حتى يتأكد من فهمهم له .

(٣) ألا يبدأ عمله في جو من الفوضى . بل ينتظر حتى يكون الطلاب مهيئين للتعلم ، والسمعاني يعبر عن ذلك بقوله " يستنصت الجالسين " ثم يتبعه بقوله " ولو فعل ذلك المستملي (المعيد) فحسن " .

(٤) ألا يعتمد على ذاكرته فقط . بل عليه الاستعانة بالكتب " فإن الحفظ خوان " .

(٥) ألا يطيل حتى يصاب الطلاب بالملل .

(٦) أن تكون له عادات سلوكية يحترمها ويلتزمها في بداية عمله . مثل :

(أ) البدء بصلاة ركعتين .

(ب) والافتتاح بالقرآن .

(جـ) البسملة .

(د) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

(هـ) الترضي عن الصحابة .

(و) الترحم على شيوخه والدعاء لهم .

تعقيب :

يمكن إجمال صفات المعلم الناجح التي أمكن استنتاجها من تحليل آراء السمعاني والتعبير عنها بلغة عصرية على النحو التالي :

(١) الالتزام بالمظهر الخارجي المقبول داخل مكان التدريس وخارجه .

(٢) مراعاة مستوى فهم الطلاب .

(٣) إتخاذ كل الوسائل المعينة على التحصيل .

(٤) الاستعانة بدفتر التحضير أو مرجع التدريس .

(٥) التزام بعض القيم الأخلاقية السلوكية الرفيعة .

(٦) توفير مناخ تعليمي يساعد على التحصيل .

ثالثاً : التفاعل اللفظى بين المعلم والمتعلم

يقصد الباحث بالتفاعل اللفظى هنا مجموع مكونات عملية التواصل أو الاتصال بين المعلم والمتعلمين من كلام وما يرافق الكلام من أفعال وإيماءات واستجابات ذات صلة مباشرة بعملية التدريس، أو بتعبير آخر : الكلام المتبادل بين طرفى العملية التعليمية وما يتبعه من استجابات بهدف تحقيق أكبر قدر من التفاهم المشترك .

وهناك مظاهر كثيرة أوردها السمعانى لهذا التواصل أو التفاعل اللفظى بين المعلم وطلابه هى :

(١) استثارة دافعية التلاميذ للتعلم ويتم ذلك عبر ثلاث خطوات :

١/أ : أخذ موضع يراه فيه الجميع .

١/ب : استنصات الجالسين .

١/جـ : رفع صوته حتى يصل إلى الجميع .

(٢) تنظيم التعليم : بالاستعانة بمن يبلغ عنه عند الحاجة .

(٣) تنظيم الاستجابات من خلال :

٣/أ : يسأل المعيد الأستاذ عن إسم شيخه الذى يروى عنه فيجيبه عن سؤاله فى بداية الدرس ويذكر إسم شيخه ونسبه كاملاً ثم يترحم عليه ويدعو له .

٣/ب : عند إعادة المعيد لكلام شيخه يلتزم بحرفيه النص ويمليه على من يكتبون كلمة كلمة مع رفع صوته .

٣/جـ : يستوضح المعيد من أستاذه بعض ما لم يسمعه بوضوح أو يراجعه فى شئ لم يفهمه حتى يشرحه له .

(٤) خلق جو من الود والمحبه : فيستحب للمعيد إذا فرغ من مهمته أن يدعو للجميع بالرحمة والمغفرة . ويستحب له أيضا أن يبدأ مهمته بالدعاء لنفسه وللحاضرين .

(٥) عند ازدياد عدد الطلاب عن القدر الذى يصلح فيه معيد واحد يجوز الاستعانة بأكثر من معيد لإبلاغ البعيدين عن المجلس . ونعرف من هذا الاحتياط صورة جانبيه عن اعداد الطلاب فى بعض مجالس العلم فى عصر السمعانى فقد روى أن بعض مجالس الإملاء كان يبلغ فى مسجد الرصافة ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف إنسان يكتبون ، وفى موضع آخر كان أبو مسلم الكجى يملى الحديث فى " رحبه غسان " ويستعين بسبعة معيدين يبلغ كل منهم صاحبه الذى يليه . وبلغ عدد الذين يكتبون نيفا وأربعين

ألف كاتب . وبلغت مجالس أخرى عشرين ألفاً وهذا يبين لنا حجم التعليم العالـــــى فى ذلك العصر .

واجبات المتعلم فى عملية التفاعل اللفظى

(١) عرض العمل المكتوب على المعلم بهدف تقويمه واصلاح ما فيه خطأ . وهو يؤكد أهمية هذه الخطوة لدرجة أنه يرى أن المكتوب اذا لم تتم مراجعته يفقد قيمته مستنـــداً لذلك بما روى عن هشام بن عروة قال : قال لى أبى : كتبت ؟ قلت : نعـــم . قال : عارضت ؟ (أى هل راجعت ما كتبته على شيخك ؟) قلت : لا . قال : لـــم تكتب (أى لا قيمة لما كتبته ولم يراجعه الشيخ) ويستدل بحديث مشابه لهـــــذا المعنى رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم عطاء بن يسار .

(٢) ألا يثقل على المعلم بطلب إعادة ما فات . لما روى عن بعض المشايخ من قولهـــم " لا تجعل الإعادة عادة " ولما روى عن رجل طلب من الفضيل بن عياض أن يعيـــد عليه ما فاته فقال له أن يعتبر أن ذلك لم يمر عليه ويربح ويستريح .

وفى هذه النقطة تأكيد ضمنى لواجبين أساسيين :

(أ) عدم التغيب عن المجلس حتى لا يفوته شئ .

(ب) عدم الشرود أثناء الإملاء . والحرص على تجدد الانتباه .

(٣) الاستجابة لطلبات المعلم ورغباته :

(أ) فاذا طلب منه المعلم أن يقترب منه فعل ذلك .

(ب) واذا أهدى إليه المعلم شيئاً قبله .

(جـ) وأن تكون جلسته مهذبة بين يدى معلمه .

(٤) فى خطاب الطالب للمعلم ينبغى له تعظيمه وتبجيله :

(أ) فيناديه بلقبه : يا أستاذ أو أيها الشيخ ونحو ذلك .

(ب) أو بكنيتـــه : يا أبـــا فـــلان .

(جـ) وأن يحذر من ندائه بأسمه مباشرة .

(٥) أن يهدأ الطلاب ويمنعوا الحركة عند بدء التدريس وأن يحسن الاستماع والانصـــات حتى يستفيد .

(٦) أن يستقبل الطالب المعلم بوجهه حين يبدأ فى درسه . (تركيز حواس السمـــــع

والبصر فى علية التعلم) •

تعقيب :

يمكن إجمال مبادئ التفاعل اللفظى عند السمعانى فى ثلاث مبادئ رئيسة هى :

١ ـ التمهيد والاستعداد (اثارة الدافعية) •

٢ ـ إجراءات التدريس•

٣ ـ التقويم •

ويمكن بسطها على الصورة التالية :

(١) أن تتم عملية التدريس فى إطار أخلاقى يوفر للمعلم أعلى درجات الاحترام والتقدير •

(٢) أن يكون للمعلم مهارات تدريسية أبرز منها السمعانى :

٢ / أ : إدراكه لحاجة بعض الطلاب إلى تغيير أماكنهم فيقربهم إليه •

٢ /ب : استخدام اسلوب التعزيز عند اللزوم كأن يقدم مخده لبعض الطلاب ليجلس عليها ، أو هديه فيقبلها الطالب•

٢ /جـ : أن يرفع صوته بالقدر المناسب ليتحقق الهدف•

(٣) أن يستعين المعلم بكل الوسائل التى تسهل عليه أداء مهمته •

(٤) أن يراعى المعلم كثافة عدد المتعلمين ويعمل على تفادى الأثر السلبى لهذه الكثافة •

(٥) أن تتم عملية التفاعل اللفظى فى جو تعليمى هادئ •

(٦) من الضرورى تقويم عمل الطلاب والتأكد من صحة فهمهم لما درسوه وذلك بمراجعة أعمالهم التحريرية •

إلّا أن الملاحظ أن السمعانى لم يعط دور المتعلم أهمية تذكر بالقياس إلى تركيزه على دور المعلم • • ولعل ذلك راجع إلى طبيعة " المحاضرة " كطريقة تدريس يتبناها السمعانى كما سيرد بعد قليل •

رابعاً : طرق التدريس

طريقة التدريس التي يتحدث السمعاني عن آدابها هي المحاضرة التي يتخللها كتابه من جانب الطلاب . وقد وضع السمعاني في كتابه عدة قواعد أو أنشطة تصاحب المحاضرة استقاها — كالعادة — من محفوظاته الدينية . وما أثر عن العلماء السابقين .

وفيما يلي بيان الأنشطة المصاحبة للمحاضرة كطريقة تدريس.

١ — التحضير للتدريس

يتضح تركيز السمعاني على هذا العنصر من اشارته إلى " اختيار " موضوعات للتدريس تكون ذات طابع علمي ، أولها فائدة تطبيقية في حياة الطالب مثل " الأحاديث الفقهية وأحاديث الترغيب في فضائل الأعمال " وهو يسوق هنا قول أبي هريرة " لأن أفقه ساعة أحب إلى من أن أحيي ليلة أصليها حتى أصبح ، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد " . ومع أن السمعاني لم يشر إشارة صريحة إلى خطوة التحضير بمفهومها المعاصر ، فإن إشارته إلى تحديد موضوعات معينه لتدريسها هو التطبيق الحقيقي لهذه الخطوة .

٢ — الشرح والتفسير

يقول السمعاني : " وإذا روى المملي حديثاً فيه كلام غريب فسره ، أو معنى غامض بينه وأظهره " وقد يلجأ المعلم إلى تفسير الغريب من تلقاء نفسه إذا أحس أنه فوق مستوى فهم طلابه .

أما إذا سأله طلابه عن معنى غير مفهوم فيجب عليه أن يجيبهم إذا كان عارفاً ، وأن يسكت عن الإجابة اذا لم يكن متأكداً منها .

وهو يروى لتأكيد هذين المبدأين بعض أقوال السلف مثل " تفسير الحديث خير من سماعه " ومثل " تفسير الحديث خير من الحديث " .

٣ — مراعاة الفروق الفردية

يجب على المعلم أن يتخير ما يناسب قدرات طلابه " فلا يروى ما لا يحتمله عقول العوام " ويستشهد هنا برسالة وردت إليه من عالم معاصر له تتضمن قولاً مأثوراً عن الإمام علي كرم الله وجهه يقول فيه : " يا أيها الناس أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون . " ويروى قولاً مأثوراً آخر لابن مسعود نصه : " أن الرجل ليحدث

بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة ".

٤ - التركيز على بعض الجوانب المهمة فى الدرس

ترتبط هذه الخطوة بخطوتى التحضير والشرح . فقد يجد المعلم أن فيما يقوله شيئاً مهماً فيجب عليه فى هذه الحالة أن يعطى هذه النقطة مزيداً من التركيز فى شرحه . ويعبر السمعانى عن هذا المعنى بقوله : " ويستحب للراوى أن ينبه على فضل ما يرويه ويبين المعانى التى لا يعرفها إلّا الحفاظ من أمثاله وذويه . ".

٥ - مراعاة التوقيت :

تضم هذه الخطوة - إلى جانب الالتزام بمواعيد العمل الذى سبقت الاشارة إليه عند الحديث عن أخلاقيات المهنة - أهمية مراعاة المعلم لقدرات طلابه الاستيعابية . ويعبر السمعانى عن ذلك بقوله : " وينبغى للمملى ألا يطيل المجلس الذى يرويه بل يجعله متوسطاً حذراً من سآمه السامع وملله . وأن يؤدى ذلك الى فتوره عن الطلب وكسله " ومن الافضل - فى رأيه - للمعلم أن يبقى جزءا يستكمله فى الدرس القادم بدلا من تدريسه للطلاب " من غير رغبة فيه ولا نشاط له " على حد تعبيره .

٦ - مراعاة أهمية الترويح :

وقد يلجأ المعلم - إذا رأى أن طلابه مقبلون على النوم أو شاردون بعيداً عنه - إلى الترويح عنهم وشد انتباههم من خلال رواية بعض الحكايات أو النوادر الطريقة التى تجدد نشاطهم . وهو يستأنس فى ذلك بما أثر من قول على بن أبى طالب كرم اللّٰه وجهه " روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة فأنها تمل كما تمل الأبدان " . وما أثر من فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد كان يحدث الناس فاذا رآهم قد تثاءبوا وملوا أخذ بهم فى غراس الشجر (أى غير مساو الحديث إلى اهتمامات السامعين) . وقد يلجأ المعلم بجانب الحكايات إلى الشعر فيروى ما يتيسر له من الأناشيد والأشعار التى ترنه عن السامعين وتشحذ عزيمتهم وتجدد نشاطهم إلى جانب ما قد يكون لها من مضمون معرفى أو أخلاقى أو اجتماعى .

٧ - تركيز انتباه المعلم :

يهتم ابن السمعانى بجعل الحالة الشعورية واللاشعورية للمعلم على أعلى درجة

من الانتباه ،فيقترح أن يستغفر المعلم ويذكر أن في سره في اللحظات التي يكون الطلاب فيها منهمكين في كتابة شيء ما • ولعله يقصد بذلك ضبط تفكير المعلم حتى لا يتشتت ذهنه أثناء كتابة طلابه مما قد يشغله أو يظهره بمظهر الشارد الذهن ،أو خشية ما قد يتبادر من فلتات لسانه إذا استغرق في تفكير بعيد عن مجال تدريسه •

٨ ـ التقويم :

لابد للمعلم قبل انفضاض المجلس أن يتأكد من صحة ما كتبه طلابه فقد يخطئون النقل والاستماع ،وقد يخطئون الكتابة • "فمعارضة" المجلس المكتوب (أي عرض القسط الذي تمت كتابته كل يوم) على الأستاذ ضمان للاتقان بعد أن يصلح منه ما فسد •

٩ ـ عدم إعادة ما تم شرحه حتى لا يتعود الطلاب الحضور متأخرين :

تعقيب :

يتضح لنا من التحليل السابق أن آراء السمعاني في مجال طريقة التدريس استغرقت الخطوات الثلاثة الرئيسة في أي طريقة تدريس • وهي :

١ـ التمهيد ٢ ـ الشرح

٣ـ التقويم

وقد استند في ذكره لهذه الخطوات إلى معلوماته عن العلماء السابقين عليه ، كما يستند أحيانا إلى مشاهداته كقوله :

" حضرت مجلس إملاء شيخنا أبي سعد بن أبي الفضل بن البغدادي في مسجد الميدان بأصبهان بعد العصر ،فأملى وكتبنا فلما كان وقت الاصفرار دخل بعض أصحاب الحديث وكان وقت الانصراف • فأنشأ الشيخ رحمه الله يقول :

ولا يرد دون الماء إلا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل "(١)

---

(١) ورد الماء : أي جاء إليه ليستقي ،وصدر عنه : أي عاد بعد أن استقى أو سقى • والبيت لشاعر جاهلي يذم قبيلة بأنهم لا يستقون إلا بعد أن يستقي جميع الناس كناية عن ضعفهم واستتارهم بالليل خوفا وإيثاراً للعافية • ولكن شيخ السمعاني استشهد بالبيت من حيث دلالته على تأخر الورود سخرية من الطالب الذي جاء متأخرا بعد أن فرغ المجلس •

وهذا يبين لنا أن آراءه كانت صورة للممارسات التربوية التي كانت سائدة بالفعل في عصره • وإلى جانب هذه الخطوات الثلاث «أشرنا سابقا — في مجال الحديث عن التفاعل اللفظي — إلى أنه أشار إلى عدة جوانب مفيدة في أثناء التدريس مثل :

١ — السماح بالحركة البسيطة بين الطلاب•

٢ — استخدام التعزيز عند الحاجة إليه •

٣ — استخدام درجة ارتفاع وانخفاض صوت المعلم بالقدر المناسب•

٤ — الاستعانة بالوسائل المعينة المتاحة (مثل المعيد في عصره) •

٥ — إتمام عملية التدريس بعد التأكد من الصمت والهدوء •

خامسا : صفات المعيد وواجباته

وظيفة المعيد : (أو المستملي)

عند السمعاني تتخلص في إبلاغ ما يمليه الشيخ إلى من لا يسمع من الطلاب الذين يجلسون بعيدا بحكم كثافة العدد • ولهذه الوظيفة — بهذا المعنى — سند شرعي يعود إلى فعل النبي — صلى الله عليه وسلم — في خطبته التي خطبها بمنى يوم عيد الأضحى وكان الناس كثرة ففي ذلك اليوم فكان النبي يخطب وعلي بن أبي طالب يبلغ ما يقول إلى من لا يسمعون ممن يجلسون بعيدا من الناس•

وأما طريقة عمل المعيد : فتتمثل في أن يعقد على موضع مرتفع — شأنه في ذلك شأن الشيخ — مثل دكه أو كرسي — بتعبير السمعاني — فإن لم يجد استملى قائماً لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين •

وصفات المعيد كما حددها السمعاني هي :

١ — أن يكون مرحاً خفيفاً : والسمعاني يشترط ذلك لأن العلاقة بين الشيخ والمعيد دائمة فيجب ألا يكون المعيد عبئاً نفسياً بثقل دمه (بالتعبير الدارج) وقد روى السمعاني عن أبي أسامه قوله : " أئتوني بمستمل خفيف على الفؤاد • إياي والثقلاء إياي والثقلاء • • •

٢ — أن يكون جهوري الصوت : بمعنى أن تتوفر فيه الاستعدادات التي تؤهله لأداء وظيفته • فإن حدد وظيفته كما أشرنا منذ قليل مقصورة على التبليغ وجب أن يكون صوته يؤهله لذلك•

٣ ــ "أن يكون متيقظاً محصلاً ولا يكون بليداً مغفلاً" ،وهو يروى نادرتين عن بلادة بعض المستملين وعناء شيوخهم معهم بسببها كذلك المستملى الذى يشكو منه شيخه ويصفه بأنه "يسمع غير ما أقول ويقول غير ما يسمى ويكتب غير ما أقول ،ويقرأ غير ما يكتب ، ويحفظ غير ما يقرأ" . وهى صورة غاية فى التعبير عن البلادة والغباوة ، كما يروى نادرة يقول فيها :

"سمعت شيخى أبا القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول :
"كنا فى مجلس نظام الملك أبى على الحسن بن على بن اسحاق الوزير فأملى :
(أف للدنيا الدنية ،دارهم وبليه) فقال المستملى ــ وهو يعيد القول على الناس ليكتبه من يريد ... دارهم وتليه " فنبهه بعض الجالسين إلى أنها : وبليه فقال ... وفليه فقيل له : وبليه ،فقال : وقليه . فضحك الجماعة فقام نظام الملك : أتركوه " .

٤ ــ أن يتمتع بقدرات لغوية عالية : يعبر عنها السمعانى بقوله : أن يكون أفصح الجالسين لساناً وأوضحهم بياناً وأحسنهم عبارة وأجودهم أداء .

٥ ــ ويستحسن أن تكون له خبرة بعمله : وهذا مبدأ فى غاية الأهمية عبر عنه السمعانى بقوله :

"وينبغى أن يكون المستملى ممن قد أنس بالحديث (أى سبق له العمل فى علم الحديث سماعاً أو تدريساً أو قراءة) واشتغل به بعض الشغل إن لم يكن الكل . لأنه ان لم يكن مشتغلاً به لا يؤمن عليه من الغلط والخطأ " . ويستشهد على ذلك بما كان يفعله الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه فيما يرويه عن الامام الشافعى رضى الله عنه حين يقول " قرأت الموطأ على مالك . ولم يكن يقرأ على مالك إلا من قد فهم العلم وجالس أهله . وكنت قد سمعته (أى الموطأ) من إبن عيينه " .

ويرى السمعانى أنه يجوز كلما زاد عدد الطلاب أن يزداد عدد المعيدين حتى يبلغ بعضهم بعضا فيصل الحديث إلى الجميع .

واجبات المعيد :

تتحدد اختصاصات المعيد اجرائياً فى الخطوات التالية :

(١) يساعد الأستاذ فى السيطرة وتهيئة الجو المناسب فى بدء الحصة وكما عرفنا سابقاً يجب على الأستاذ أن يستنصت الطلاب ،فان لم يستطع استعان بالمعيد ،إستئناساً بما فعله النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفه وكانت الشمس توشك أن تغرب وكان

النبى واقفاً يريد أن يخطب فقال لبلال : يا بلال أنصت لى الناس فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول اللّه (ص) ٠ ٠

(٢) يقلد المعيد الشيخ فى قراءة بعض القرآن الكريم ثم البسمله والحمد والصلاة على النبى وصحابته ٠ ثم يدعو للشيخ فيقول : " ورضى اللّه عن الشيخ وعن والديه وعن جميع المسلمين ، ولو قال : ورضى اللّه عن سيدنا (١) جاز ذلك اذا عرف المملى قدر نفسه (أى اذا لم يؤد هذا التبجيل إلى توليد الغرور فى نفس الشيخ) ٠

(٣) أن يختار المعيد فى دعائه للشيخ ما يرضيه فقد كان بعض العلماء يكره أن يدعو له المستملى بقوله : أطال اللّه بقاءك وما شابه ذلك ٠ وكانوا يفضلون أن يدعو لهم بقوله : رضى اللّه عنك وعن والديك أو رضى اللّه عن الشيخ أو غفر اللّه له وما شابه ذلك ٠

(٤) أن يذكر المعيد للحاضرين ما يعرفه عن الشيخ : إسمه ونسبه وكنيته ٠ فان كان يجهلها — عند أول لقاء له مع الشيخ — سأله عما لا يعرف عنه فعرفه اياه ٠

(٥) أن يبدأ المعيد المدرس بقوله للشيخ : من حدثك رحمك اللّه ؟ فيقول الشيخ : حدثنى أبو فلان بن فلان ويروى الحديث ٠ فيكرر المعيد ما قاله الشيخ بصوت عال حتى يكتب من يريد الكتابة ٠ ويسمع من يريد السماع ممن يجلسون بعيداً ٠

(٦) من واجبات المعيد أيضا أن يجيب عن استفسارات الطلاب يقول السمعانى : " ماذا لم يسمع الكاتب حرفاً سأل المستملى عن ذلك حتى يسمعه ، أو شك فى شئ راجعه حتى يستثبته فيجيبه " ٠

(٧) على المعيد مراعاة الطقوس الأخلاقية للحلقة فيبدأ بالدعاء لنفسه والحاضرين ويختم

---

(١) يثير البعض زوابع حول استخدام لفظ سيدنا سواء أكان ذلك مع النبى صلى اللّه عليه وسلم أم مع الأستاذ المعلم ٠ والذى يميل إليه الباحث ألا شبهه فى استخدامها من باب البر والتأدب خصوصاً مع ورود أثر — مروى بسند حسن — عن عمر بن الخطاب أنه قال لابى بكر الصديق رضى اللّه عنهما (لا ٠ بل نبايعك ٠ أنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم) ٠

راجع : الألبانى ، سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة ٠ ط٢ ، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٨) م٣ ص٤٢ قال الألبانى عن هذا الأثر : " وروى بسند حسن " والألبانى حجة ٠

كما ذكر هذا الأثر نفسه السمعانى أيضا فى أدب الإملاء والاستملاء ٠ ص ٩٩ ٠

المجلس بالدعاء للحاضرين ولمن كتب منهم خاصة .

تعقيب :

تضمنت آراء السمعانى فى اختيار المعيد وتحديد واجباته عدة مبادئ على درجة كبيرة من الأهمية . منها :

١ ـ أن يكون ذا شخصية مقبولة اجتماعيا .
٢ ـ أن يكون على دراية باللغة .
٣ ـ أن يكون ذا خبرة فى مجال عمله سابقة .
٤ ـ أن يلتزم بمبادئ الأخلاق فى عمله .
٥ ـ وأن يكون مساعداً مخلصاً لشيخه فى أداء عمله .

سادساً : سلوك الطلاب

من المفضل عند السمعانى أن يكون للطالب سلوك حسن مقبول اجتماعيا حيث "ينبغى لطالب الحديث أن يتميز فى عامة أموره عن طرائق العوام " واذا سمع شيئاً من آداب النبى صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به " .

ومن واجبات الطلاب ازاء الأستاذ يرى السمعانى أنه :

(١) يجوز القيام للمعلم توقيراً واحتراماً على وجه البر لا على وجه التعظيم عملا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم حين نزلت بنو قريظة على حكم سعد فبعث إليه الرسول وكان قريباً فجاء وكان يركب حماراً . فلما دنا من مجلس الرسول قال لأصحابه صلى الله عليه وسلم " قوموا إلى سيدكم " رواه البخارى .

(٢) كما يجوز تقبيل يد المعلم . ويروى السمعانى عن نفسه هنا قوله : " كنت اذا دخلت على شيخنا أبى بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى ببغداد أقبل يده كل نوبة وألاطفه فى الكلام ليمكننا من القراءة فحصل لى منه مالم يحصل لغيرى " .

(٣) أن يلتزم الطلاب عند تعاملهم مع المعلم بآداب السلوك فمثلاً : إذا أرادوا الدخول عليه تقدمهم أكبرهم سنا . إلا إذا تواضع الأكبر سناً وقدم من هو أكثر علماً منه فذلك مستحسن .

(٤) وإذا دخل طالب على أستاذه وعنده جماعة فلا يتحدث إلى أستاذه وحده بل يبدأ

بإلقاء السلام على الجميع ·

(٥) ويستحب للطالب (في مجلس الحديث) أن يخلع نعليه — مبتدئاً بخلع اليسرى التزاما بالسنة النبوية — قبل دخوله على أستاذه ·

(٦) ومن الأفضل أن يجلس بين يدى أستاذه جلسة مهذبة كأن يجثو على ركبتيه مثلاً ·

(٧) وإذا دخل الأستاذ بعد طلابه وجب عليهم افساح الطريق له ليدر عملاً بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لاتوسع المجالس إلا لثلاثة : لذى سن لسنه ولذى علم علمه ولذى سلطان لسلطانه " ·

(٨) وإذا وجه الأستاذ إلى الطالب كلاماً شديداً تحمله بصدر رحب لأن مداراة الناس صدقه · ومن لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى فى ذل الجهل دائماً كما يروى السمعانى عن الأصمعى ·

هذه هى أهم سلوكيات الطالب تجاه أستاذه كما أوردها السمعانى ، ويضاف إليها ما ذكر من أخلاقيات واجبه أوردناها عند الحديث عن التفاعل اللفظى كأن ينادى الطالب أستاذه بلقبه وليس باسمه · وأن يستقبله بوجهه ، وألا يشرد بذهنه فى أثناء الدرس، وأن يقبل هديه معلمه · وأن يلبى رغبته إذا طلب منه أن يقترب منه ·

وأما سلوك الطلاب داخل المجلس فيتلخص فى الآداب التالية :

(١) أن يبكر بالذهاب إلى دروسه · لأن ذلك من السنة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : " اللهم بارك لأمتى فى بكورها " وشرحه ابن عمر رضى الله عنهما فقال أى " فى طلب العلم والصف الأول " (يعنى الصف الأول فى الصلاة) ·

(٢) ومن الأفضل له أن يمشى ولا يركب " فان المشى أبرك " وهذا من ورع العلماء السابقين الذين كانوا يريدون تحصيل مزيد من الثواب والأجر فى كل عمل خير يأتونه ·

فإذا أسرع فى مشيه " حرصا على الطلب وكى لا يسبقه أحد إلى المحدث " جاز له ذلك مع أن الأصل أن المشى بتؤده هو الأفضل ··

والأفضل ألا تكون ثيابه طويلة " يعثر فيها إذا مشى " · وأن تكون ملابسه بسيطة ، ولكنها نظيفة لأن النظافة من الإيمان · أما استعمال الملابس الفخمة كالحرير فقد حظرته الشريعة على الرجال · ويروى السمعانى عن بعض العلماء أن فى استعمال

الطالب للملابس المهندمة دليلاً لى عدم اهتمامه بالعلم .

(٣) أن يخلع نعلية قبل الدخول ، ويمشى على البساط حافيا " لانه من التواضع وحسن الأدب " . واذا خلع نعليه وضعهما عن يساره ، ثم يجلس فى آخر مكان فارغ فى المجلس " حيث ينتهى به المجلس " .

(٤) وإذا كان المجلس خاصاً فلا يتخطى الرقاب . إلا اذا استدناه المعلم فيجوز له فى هذه الحالة تخطى الرقاب بقدر حاجته .

(٥) ويكره له أن يقيم رجلاً من مجلسه ليجلس فى مكانه لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن فعل ذلك .

(٦) فإذا قام له أحد ليجلس مكانه ، امتنع عن ذلك لورود النهى عن فعل هذا أيضا .

(٧) ويكره له أن يجلس وسط الحلقة أو فى صدر المجلس لأن جلوسه فى أطراف المجلس دليل على التواضع كما روى عن كثير من العلماء أنهم كانوا يكرهون الجلوس فى الصدارة

(٨) ولا يجلس بين اثنين فى المجلس بغير إذنهما .

(٩) ويستحب لمن كان جالساً فى الحلقة أن يوسع للداخل ، ويتزحزح له عن مكانه .

(١٠) واذا أفسح له اثنان ليجلس بينهما جلس لأنها كرامة وأكرماه بها فلا ينبغى أن يردها .

(١١) فاذا فعل ذلك كان من كمال الخلق " أن يجمع نفسه " أى يجلس بمقدار حاجته " ولا يتربع " .

(١٢) واذا قام أحد من المجلس وهو يريد العودة إليه ، فلا يجوز الجلوس مكانه لورود النهى عن ذلك .

(١٣) ألا ينام فى أثناء الدرس ، فاذا غلبه النعاس تحول إلى مكان بعيد عن مجلس التدريس .

تعقيب :

يتضح من العرض السابق ،أن السمعانى فى معالجته لدور المتعلم فى العمليـــة التعليمية يركز على جانبين مهمين :-

أولهما : الهدف التعليمى

فهو يؤكد كل المبادئ التى يراها وسائل لتحقيق الهدف التعليمى فيجيز للطالب من أجل اللحاق بالدرس أن يسير مسرعاً خلاق للآداب العامة للمشى ،ويجيز له أن يتخطى الرقاب لتلبية نداء شيخة والقرب منه كما يجيز له تحمل إيذاء المعلم له إن حدث حرصاً علـى تحقيق هدف التعلم . كما يؤكد على أهمية التبكير إلى الدرس من هذا المنطلق نفسه .

وثانيهما : المنحى الأخلاقى

فمعظم توجيهاته أو آرائه تحمل مضموناً أخلاقياً وتحدد مسلكيات رفيعة يجب أن يتحلى بها المتعلم فى معاملاته سواء خارج الحلقة (مكان التدريس) أو داخل الحلقة . وســواء أكان ذلك مع معلمه أم مع زملائه .. فتوقير المعلم ،ومخاطبته بالتبجيل والتكريم والقيـــام لموتقبيل يده ،والاستفسار عما لم يسمعه من المعيد وليس من الأستاذ مباشرة ،كل هـــذه أنماط سلوكية كانت سائدة فى عملية التعليم فى عصر السمعانى ،وكلها ذات منحى أخلاقى .

وكذلك مراعاته لمشاعر زملائه ،وحرص على عدم إيذائهم فى أثناء الدرس بتخطيهـــم أو الجلوس بينهم أو أخذ أماكنهم .. الخ .

وتجدر الإشارة إلى هناك آدابا أخرى للمتعلم ذكرها السمعانى فى القسم الأخيـر من كتابه وموضوعه " آلات التعليم " منها :

* أن يأتى الطالب إلى المجلس ومعه أدواته كالدواة والقلم وما إلى ذلك .
* ان يتعاون الطلاب فيما بينهم فى استخدام الأدوات عند الضرورة .
* أن يسلم على المجلس اذا أراد الانصراف . ويبدو أنه آخر هذه النقطة إلى آخـــر الكتاب إيذاناً بإنتهاء الكتاب .

سابعا : أدوات التعلم

إن حديث السمعانى عن أدوات الكتابة وآلاتها كما يسميها ليست بذات قيمة كبيرة بموازين الفكر التربوى المعاصر • ولكن قيمتها تتمثل فى جانبين :

أولهما : القيمة التاريخية البحته من حيث أنها تقدم لنا مادة علمية تأريخية لما كانت عليه أوضاع التعليم فى عصره •

وثانيهما : ما يمكن استنباطه من إيرادها من قيمة تتعلق بتنظيم العمل المدرسى ، والعمل الصفى ، واستخدام الوسائل المعينة على التدريس داخل الفصل •

ولذلك يشير إليها الباحث بايجاز خصوصا أن السمعانى نفسه آخرها الى قرب انتهاء كتابه • وقدم لها بقوله أنه يذكرها استكمالا لاداب الاملاء والاستملاء • وأشار إلى أنه استوفى الحديث فى معظم جوانب هذا الموضوع " المتعلق بالكتابة " فى كتابه (المفقود) " طراز الذهب " الذى أشير إليه سابقا عند ذكر مؤلفاته •

وفيما يلى عرض لأسلوب الكتابة وأدواتها وفق ترتيب السمعانى :

(١) ينبغى للطالب أن يكتب بالسواد ثم بالحبر خاصة لأن الكتابة بالحبر الأسود تبقى " على مر الدهور والأزمان • وهو آله ذوى العلم وعدة أهل المعرفة والفهم " ويروى عن أحمد بن مهدى أنه أراد أن يكتب كتاب الأموال لأبى عبيد (من أقدم المؤلفات فى مجال الإقتصاد الإسلامى وهو مطبوع حاليا ومعروف لدى المختصين بالفقه والمعنيين بدراسة الاقتصاد وتطوره فى الإسلام) فخرج إلى السوق ليشترى ماء الذهب فلقيه أبو عبيد فقال له : يا أبا عبيد رحمك الله أريد أن أكتب كتاب الأموال بماء الذهب فقال له أبو عبيد : " اكتبه بالحبر فأنه أبقى " •

(٢) واذا تلطخ ثوب المتعلم بالخبز فينبغى له ألا يخجل من ذلك لأن ذلك شرف له يفخر به • ولكن الأفضل أن يحافظ على ثوبه • قال أبو العالية " تعلمت الكتاب والقرآن • • وما رؤى فى ثوبى مداد قط • " •

(٣) ولا يحضر المتعلم مجلس الإملاء إلّا ومعه المحبره " الدواة " •

(٤) ولو لم يحضرها معه وحضر مجلس الإملاء جاز له أن يكتب من محبرة جاره فإن علماء السلف فعلوا ذلك •

ثم يذكر السمعانى أدوات النسخ هى :

(١) المحبرة .

(٢) القلم : ويضع له مواصفات معينة وهى " ألا يكون أصم صلباً فأن هذه الصفة تمنع سرعة الجرى ، ولا يكون رخوا فيسرع إليه الحفا . ويتخذ أملس العود مزال المقعود وتوسع فتحته وتطال جلفته وتحرف قطته " ويبدو أنه يتكلم عن نوع الأقلام الخشبية التى كانت تستخدم حتى عهد قريب فى الكتاتيب .

(٣) المقلمة : وهى الوعاء الذى توضع فيه أدوات الكتابة .

(٤) السكين : " وينبغى ألا يستعمل سكين الأقلام إلّا فى بريها وتكون رقيقة الشفرة ماضية الحد ، صافية الحديدة " .

(٥) المقط : ولم يقدم تعريفاً له ويبدو أنه قطعة من الحديد أصغر من السكين تستخدم فى تحديد ميل سن القلم لأن القطن عند الخطاطين يفهم منه برى سن القلم بطريقة مائلة ميلاً له درجات معلومة عندهم .

(٦) الحبر .

(٧) الكاغد (*) : وهو نوع من الجلود الرقيقة التى كانت تستعمل للكتابة عليها .

هذه هى أدوات الكتابة التى ذكرها السمعانى ، وقد اتبع كلا منها بآثار مروية فى مزاياه أو أشعار قيلت فى وصفه . ثم اتبع ذلك كله بذكر بعض الأدوات التى كان السابقون يكتبون عليها مثل : الجلود والألواح والخزف والرمل والنعال إلى جانب القراطيس . وهى الأوراق وكانوا يكتبون فى تلك الأشياء اذا اعوزتهم القراطيس .

ثم يذكر بعد ذلك طريقة الكتابة فيقول أن على الكاتب :

١ ـ أن يبالغ فى تحسين الخط وتجويده .

٢ ـ وأن يكتب الخط غليظاً ويجتنب كتابه الخط الدقيق إلّا اذا كان فقيراً لا يجد من الكاغد (الجلود) ما يكفيه . أو كان مسافراً فيدق خطه (يصغره) ليخف حمل كتابه عليه .

٣ ـ أن يبدأ بكتابة البسمله أياً ما كان الموضوع الذى سيكتبه .

٤ ـ ولا يكتب فى السطر الذى فيه البسمله شيئا آخر غيرها .

٥ ـ ثم يكتب فى السطر التالى إسم الشيخ الذى يسمع منه ومألوفه من معلومات عنه :

(*) الكاغد : كلمة فارسية تعرب بقرطاس .

كنيته ولقبه ونسبه •

٦ - وفى لحظات فراغه وأثناء انشغال المعيد فى أى شىء يستحسن للطالب أن يشغل نفسه بضبط ما كتبه بالشكل وتفقد النقاط على الحروف حتى يسهل عليه المراجعة ويأمن الخطأ •

٧ - ويفصل بين كل حديثين مختلفين بعلامة مميزة مثل رسم خط مثلاً • أو نشارة خشب حتى لا تنطمس الكتابة • ولا يستعمل فى ذلك التراب •

٩ - وإذا فاته كتابة شىء استعار أوراق بعض زملائه لينقل منها ما فاته •

ويستطرد من ذلك فيتحدث طويلا عن إعارة الكتب ويستشهد بأقوال عديدة ملخصها أن المستعير يجب أن يرد ما استعاره بسرعة لأن تضييع الكتب المستعارة أدى إلى ضمن أصحابها بها على من يريد استعارتها • حتى أجاز بعض العلماء بل استحسن أخذ الرهون عليها من الأصدقاء ضمانا لعودتها •

ثالثاً : آراء السمعانى فى ضوء الفكر التربوى المعاصر

ليس الهدف من هذا القسم هو الموازنة الدقيقة بين آراء السمعانى ، وآراء علماء التربية المعاصرين ، فهذا خطأ علمى لاختلاف العوامل التى أفرزت هذه الآراء وتلك اختلافا ثقافياً وتاريخياً .

وليس الهدف مجرد " التشدق " بأن العرب سبقوا الغرب فى كل شىء كما يحلو لبعض المتعصبين أن يقولوا فى تعميمات تقفز فوق أسوار المنطق الصحيح . وانما يهدف هذا القسم الى :

١ ـ التعرف على بعض أوجه التشابه فى الآراء التربوية بين السمعانى الذى يمثل ثقافة النصف الأول من القرن السادس الهجرى (النصف الأول من القرن الثانى الميلادى) وآراء التربويين المعاصريين فى النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى (النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى) .

٢ ـ التعرف على إنجازات السمعانى العلمية وتحديدها كخطوة على طريق تأصيل التربية العربية .

أولا : فى مجال أخلاقيات مهنة التعليم

التعريفات الحديثة للمهنة متعددة ولكنها بوجه عام تسير فى اتجاهين :

أولهما : اتجاه فردى يركز أصحابه على " مهارات " و " سمات شخصية " معينة يجب أن تتوفر فى شاغل المهنة وتجعله مقتنعاً بعمله (٦ ـ ٢٠) .

وثانيهما : إتجاه مؤسسى يركز على اعتبار المهنة عملاً جماعياً يقوم به موظفون أكفاء لتحقيق أهداف محددة مسبقاً . ففى قاموس علم الاجتماع البريطانى (٧ ـ ١٦٨) نجد تعريفا المهنة يقول أنها : " أعمال خدمات تلتزم بتطبيق معارف ومهارات لحل مشكلات مجتمعية " .

وقد أوضح ليبرمان فى كتابه " التعليم كمهنة " (٨ ـ ١) أن كثيرا من التعريفات الخاصة بالمهنة تخلط بين المهنة والحرف والوظائف ، ولذلك فمن الأفضل النظر إلى المهنة بوصفها " مجموعة من المعايير " أو " السمات " بمعنى أن تكون لها أهداف تحققها ، وقواعد تنظم العمل بها .

وهذا التعريف يدخل مباشرة فى صميم المهنة من زاوية أخلاقياتها أو ما يتضمنه القيام بها

من مباد ئ تنظيمية وقواعد سلوكية وقيم متعارف عليها عند ممارسى هذه المهنة .

ويكون ممارسو أى مهنة مسئولين عن عملهم وهذه المسئولية النابعة من رعايتهم لأخلاقيات المهنة قد تكون موضوعية أو شخصية أو نفسية كما يقول موشر (٩ـ ١٦) .

وتقوم أخلاقيات مهنة التعليم فى الفكر التربوى الحديث على عدد من المحددات: المهنة الاجتماعية والتشريعية ذكرها ليبرمان وأحمد حسن عبيد ويمكن تلخيصها فيما يلى : (٨ـ ص ص ٢٤ : ٢٨) وعبيد (١٠ ـ ص ص ٢٨٧ : ٢٩٢) .

المحددات المهنية

- التعليم مهنة تقوم على النشاط العقلى أكثر من الجسمى .
- لابد من توفر كفايات خاصة يمكن للمعلم من خلالها القيام بمهامه بفاعلية .
- لابد من النمو المهنى المستمر للمعلم .

المحددات الإجتماعية

- التعليم كمهنة لايسعى إلى الربح ، بل يجب النظر إليه على أنه خدمة اجتماعية .
- المعلم مسئول عن إعداد رجال المستقبل ويحكمه فى ذلك مبدآن : الوقوف على حاجات المجتمع المتطورة ، وتربية رجال المستقبل فى إطار قيمى ملائم للمجتمع .
- رسالة المعلم مقدسة تحتاج إلى تضحية وإنكار ذات .
- يجب العناية بإعداد المعلم ليناسب ما يحدث فى العصر من تطورات علمية .

المحددات التشريعية

- إجراءات اختيار وتعيين المعلمين .
- مراعاة الجدارة والاستحقاق عند ترقية المعلمين أو نقلهم .
- يجب على المعلم الالتزام بواجبات عمله : مثل مراعاة مواعيد الحضور ، وتحضير الدروس وما الى ذلك .
- القوانين المحددة للمعاملات المالية للمعلمين .

إن تحليل آراء السمعانى السابق والنظر إليه فى ضوء هذه الرؤية الحديثة لمهنة التعليم يمكننا من استنتاج ما يلى :

١ ـ ان السمعانى لم يتعرض لمسألة إعداد المعلم إطلاقاً ، وربما لأن ذلك تاريخياً لم يكن قد تبلور بشكله المعاصر من جهة ، ولأنه كان يتحدث فى معظم الوقت عن أستاذ

مادة الحديث أو المحدث بصفة خاصة • وهذا النوع من المعلمين لم يكن مجهولا في عصره • بل كانت له مواصفات معروفة تعطيه الأحقية في التعليم بعد إجازته بذلك من شيوخ أكبر منه علماً وسناً • كما أن السمعاني يتحدث عن أرقى أنواع التعليم الذى كان معروفاً في عصره والذى يناظر التعليم العالى الحديث • وكان الشيخ المعلم في هذا النوع من التعليم لابد له من أن يكون على درجة عالية من التخصص •

٢ ـ أن السمعاني لمس كثيراً من مبادئ العمل المهنى المعاصرة مثل :

(أ) أن التعليم خدمة اجتماعية •

(ب) أن التعليم نشاط عقلى بالدرجة الأولى •

(جـ) أن من واجبات المعلم أن يلتزم ببعض القواعد ـ التى كان على المعلم أن يشرحها لنفسه ـ مثل : الحضور في المواعيد ،وتحضير الدروس• الأمانة العلمية•• تعدد مصادر المعرفة•••إلخ •

ثانيا : في دور المعلم في العملية التعليمية

أذا أردنا استعراض الآراء التربوية الحديثة الخاصة بدور المعلم في العملية التعليمية فلن نستطيع ذلك نظراً لاتساع وجهات النظر وتعددها حول طبيعة هذا الدور ،وحدوده، وما يلزم للقيام به من كفايات • وقد تقدمت البحوث التربوية في هذا المجال تقدما يصعب على الباحث الإحاطة به سطور محددة •

لذلك ربما كان من الأجدى أن نذكر من آراء السمعاني ما نراه متفقا مع بعض الرؤى التربوية الحديثة فمثلا :

** يرى السمعاني أن من واجبات المعلم أن يعمد في تدريسه إلى دفع الملل عن طلابه برواية بعض الحكايات والنوادر والأشعار بوصفها نوعاً من الترويح والتنشيط• وهو في هذا يتفق مع ايفرتسون ورفاقه (١٩٨٤)(١١ـ٦٥) الذين رأوا أن فعالية المعلم ونجاحه في عمله يتوقف بدرجة كبيرة على قدرته على الانتقال بين الأنشطة المختلفة داخل الفصل • فلذلك ارتباط ايجابى بتحصيل التلاميذ •

وقد وضع روبرت سلافين (١٩٨٦م)(١٢ـ٣٩٥) ثلاث قواعد لانتقال المعلم من نشاط إلى نشاط هى :

(١) أن يوحى للتلاميذ بأنه سينتقل من نشاط إلى آخر •

(٢) وأن يتأكد من أن ذلك يتم بعد الفراغ من النشاط السابق .

(٣) وأن يكون انتقاله هذا جماعياً . بمعنى أن يكون جميع الطلاب واعين بما يحدث

ويرى سلافين أيضا (المرجع السابق ، ٤٠٤) أن كثيراً من مشكلات التلاميذ داخل الفصل تعود إلى شعورهم بالملل والاحباط ولذلك فأن الأنشطة التدريسية — المبرمجه والمخطط لها — يمكن أن تمنع حدوث هذه المشكلات . هذا ، ويعتبر النوم مشكلة سلوكية كثيراً ما تحدث داخل الصف ، وقد عالجها السمعانى بطريقتين فإما أن ينشط التلميذ الذى يستشعر فى نفسه حاجة إلى النوم نتيجة الملل أو طول المجلس وذلك من خلال جو المرح والسعادة الذى يثيره الأستاذ برواية الحكايات والنوادر . وأما أن يعتزل المجلس ويذهب بعيداً .

** أكد السمعانى ضرورة أن يعرف المعلم قدر نفسه ، وأن يراعى وضعيته الاجتماعية خارج مكان عمله .

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه عالم الاجتماع جون كونكلين (١٩٨٤) (١٣ — ١٥٠) ، حول مفهوم الدور الاجتماعى الذى عرفه بأنه " كل وضع يختاره الإنسان ، قسراً أو إختياريا ، ويجب عليه بسببه القيام بأنواع معينة من السلوك تفرضها عليه طبيعة هذا الوضع " كما تتضمن معرفة المعلم لواجباته التدريسية عند السمعانى ، إتفاقا مع ما ذهب إليه كوستر وشيرز (١٩٧٤م) (١٤ — ١٠) من أن المعلم الذى لا يتقن فنون الاتصال مع طلابه لاينجح فى آداء عمله ..

واشارة السمعانى إلى استخدام المعلم للكلام اللطيف وعدم رفع صوته أكثر من اللازم تتفق مع ما ذهبا اليه أيضا من أن " أنماط الكلام الذى يبدر من المعلم — أثناء تدريسه — إما أن تعوق عملية التعليم ، وإما أن تدفعها إلى الأمام " .

** كما أن إغفال السمعانى استخدام العقوبات يؤخذ منه ضمناً أنه يتبنى وجهة النظر الأخرى القائلة بكسب ود التلاميذ ، وتوجيه سلوكهم من خلال حبهم للمعلم . ولا يعد هذا الفهم تعسفاً فى تحليل آراء السمعانى ، بل أن له ما يستند إليه فقد أورد السمعانى عدة مظاهر تدل على ميله إلى هذا الرأى منها (الملاطفه فى الكلام ، تقريب بعض الطلاب إليه — اهداء هدية إلى بعضهم وغير ذلك) .

وهو هنا لا يبعد كثيرا عما ذهب اليه مايرون دمبو (١٩٨١م) من أن سلوك المعلمين العدوانيين يؤثر تأثيراً سلبياً فى تحصيل تلاميذهم . وقد عدد دمبو أنماط

السلوك التسلطى للمعلم فى (١٥ــ١٩٥) :

- استخدام القوة.
- التخجيل (اشعار التلميذ بالخجل).
- الاصرار على الامتثال والخضوع.

وعدد سلوك المعلمين الذين لايميلون إلى العقاب فى :

- قبول التلاميذ
- حثهم على المشاركة فى الأنشطة.
- التعاطف معهم.

وواضح أن السمعانى يقف فى المعسكر الثانى من هذين المعسكرين.

** أن تركيز السمعانى على اعتبار المعلم قدوة لطلابه ، وتنبيهه للمعلم أن يستمر داخل وخارج مكان تدريسه على درجة معينة من الوقار تناسب دوره الاجتماعى كقدوة ، هذا التركيز يتمشى مع آراء كثير من علماء النفس الذين يرون أن العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة تأثير وتأثر متبادل بينهما . فالمعلم حين يرى سلوكيات طلابه لابد أن يدرك أن هذه السلوكيات متأثره بمواقفه هو نفسه وسلوكياته أمام تلاميذه (١٦ــ٦) ويتمشى أيضاً مع ما ذهب اليه بعض الباحثين التربويين العرب المعاصرين مثل محمود عبد الرازق شفشق (١٧ــ٤١) الذى يرى أن يعمل المعلم على تقوية الروح الدينية فى نفوس التلاميذ وتنشئتهم على التمسك بأهداب الدين ومراعاة قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، وأن يكون قدوة حسنة لتلاميذه فى خلقه ومسلكه ومظهره (المرجع السابق ــ ٤٤).

وما ذهب اليه السمعانى من ضرورة أن يكون مظهر المعلم فى مشيته هادئاً يتفق مع ما ذهب إليه على الشوبكى (١٨ــ٣٨) من أنه يجب على المعلم أن يتصم بالرزانة المترفقه الهادئة ، الرزانة التى تضفى على الإنسان أردية كثيفة من الحب والهيبة والجلال والتقدير.

ثالثاً : في طبيعة عملية التعلم

لم يقدم السمعاني تعريفاً محدداً للتعلم شأن كثير من مفكري التربية العرب القدامى أو مفكري التربية المعاصرين • إلا أن استنباط هذا المفهوم من بين سطوره ليس عسيراً ومن الممكن التوصل إلى مفهوم التعليم عنده من خلال :

(أ) إبرازه للجانب الخلقي في سلوك المعلم وسلوك المتعلم •

(ب) اهتمامه بوجوب اختيار مضمون تعليمي ذي طابع عملي يؤثر في سلوك المتعلمين •

(جـ) ذكره لاخلاقيات التعامل بين الطلاب بعضهم وبعض في حلقة التعليم •

(د) تركيزه على الاهتمام بالسنة النبوية في السلوك •

من مجموع هذه العناصر الأربعة نستنتج أنه لم يبتعد كثيراً عما ذهب إليه مفكرو التربية المحدثون ـ على الرغم من اختلافاتهم ـ من اتفاق حول "كون التعليم تغييراً في السلوك" كما يقول روبرت ريلي وأرنست لويس(١٩ ـ ٩٢) هذا من حيث المفهوم •

أما من حيث " تفسير " عملية التعلم فأن السمعاني لم يقدم شيئاً ذا بال يمكن موازنته بالفكر التربوي المعاصر الذي يقدم عدة تفسيرات لعملية التعلم تنضوي تحت اتجاهين رئيسيين • هما :

(أ) الاتجاه السلوكي في تفسير التعلم :

ويتبناه أصحاب نظرية المثير والاستجابة حيث يفسرون حدوث التعلم على أساس ارتباطات تحدث بين مثيرات واستجابات • ومن الممكن القول بأن علماء النفس السلوكيين الذين ساروا مع هذا الاتجاه من أمثال : ثورنديك وواطسن وسكنر وجاثري ، قد تأثروا تأثراواضحا بعطاء الفلسفات التربوية التجريبية التي تركز كثيرا على الخبرات الناتجة عن طريق الحواس تلك التي ترعرعت ونمت تحت تأثير فلسفة جون لوك وانتشار نظرية نيوتن وقوانين الحركة التي توصل اليها • ونظرية داروين عن أصل الانواع وما أحدثته من ثورة علمية في شتى المجالات •

يقول روبرت ودورث(٢٠ ـ ٦٦) "أن نظرية داروين (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) هزت العالم حتى عد تأكبر فتح علمي في القرن الماضي بأسره ، وأثرت في فكرة علم النفس وموضوعه بما استحدثت من فروق بين أفراد النوع الواحد " وقد قام السلوكيون بتطبيق نتائج بحوثهم على الحيوانات على الإنسان كما يرى سيف الدين فهمي (٢١ ـ ١٢٥) •

وقد أدت هذه النظرة إلى توسع السلوكيين فى إبراز دور التعزيز والثواب كقوى أساسية تؤثر فى التعلم • ووضح هذا أكثر فى بحوث سكنر •

(ب) الاتجاه المعرفى فى تفسير التعلم :

يطلق على أصحاب هذا الاتجاه أحيانا إسم الجشتالتيين نسبة إلى كلمة "جشطلت" وهى كلمة ألمانية تعنى الصورة أو الشكل ، وقد يطلق عليهم أصحاب نظرية المجال أو الاستبصار لأنهم يعنون عناية فائقة بالمجال العام الذى يحدث فيه التعلم ولا يركزون — شأن أصحاب المذهب السابق من السلوكيين — على الخبرة الحسية المحدودة التى يحدث من خلالها التعلم •

ولعل سبب شيوع التسمية الألمانية "الجشطلت" يرجع إلى كون كل من كوهلر وكوفكا وهما أكبر عالمى نفس كتبا فى هذا الاتجاه ، كانا ألمانيين ثم هاجرا إلى أمريكا وبدأ يكتبان بالإنجليزية •

وتعود جذور هذا الاتجاه إلى الفلسفات التربوية العقلية التى تعود إلى ديكارت وكانت وغيرهما من الفلاسفة العقليين وإن كان ديكارت (١٥٩٦ــ١٦٥٠) هو الأشهر بين الفلاسفة العقليين الذى ربط بين الجسم والروح • بل ربما تعود الجذور الأقدم لهذا الاتجاه إلى أفلاطون واضع أسس الفلسفة المثالية •

وأصحاب الاتجاه المعرفى فى تفسير التعلم يهتمون بالادراك العام للمجال ويفسرون التعلم على أساسه • فى حين يقتصر السلوكيون فى تفسيرهم لحدوث التعلم على قوانين الأثر وما يتصل بها من طرق للحصول على المعرفة مثل المحاولة والخطأ •

والاختلاف الرئيسى بين الاتجاهين مرجعه إلى كون الفلسفات التجريبية التى استمد منها السلوكيون آراءهم تؤمن بالحس كمصدر للمعرفة ، بينما تؤمن الفلسفات العقلية بالعقل كمصدر للمعرفة — دون تجاهل للحس — وهو ما يميل إليه أصحاب الاتجاه المعرفى •

والحقيقة أن إشارات السمعانى الضمنية إلى استخدام التعزيز من جانب المعلم أو تنبيهه إلى أهمية تغيير النشاط بين الحين والآخر بقصد الترويح ، غير كاف فى نظرنا للقول بأنه تعرض لتفسير عملية التعلم • أو قدم فيها شيئاً ذا بال •

رابعا : طرق التدريس

من البديهي أن السمعاني ليس متخصصا في التربية ،وبالتالي فأن حديثه عن طريقة التدريس التي يجب استخدامها يشير إلى " ممارسات " أكثر منه إشارة إلى "نظريات "

الاأن اشاراته الى طريقة تنظيم المحاضرة واجراءات سيرها جعلتنا نلمس فيما قاله جوانب ايجابية أشارت إليها كتابات تربوية حديثة على الرغم من أن " المحاضرة " ليست هي الطريقة الوحيدة للتدريس التي عرفها المسلمون قديماً • وإن كانت هذه الطريقة الأكثر شيوعاً كما يرى الأبراشي والشيباني (٢٣_٢٠٨) ، (٢٤_٤١٤) •

إن مبادئ التعلم التي ذكرها ستون ونلسون عام ١٩٨٢ (٢٥_١٤ : ٢١) وهي اثنا عشر مبدأ ،يتحقق منها عند السمعاني ما يلي :

١ _ يحفظ استخدام المثيرات النشطة إنتباه المتعلم ويقوى تعلمه (استخدام الحكايات) •

٢ _ توضيح المهمة التعليمية (الشرح عند السمعاني) يساعد المتعلم على العمل بنشاط ويسهل عملية التعلم •

٣ _ استخدام المفاهيم (= ذكر درجة الحديث من الصحة والضعف عند السمعاني) ليقوى تعلم المتعلمين •

٤ _ استخدام المتعلم لخبراته السابقة (= ضرورة توفر خبرة سابقة في المعيد) ييسر انتقال أثر التعلم في المواقف الجديدة •

٥ _ يعمل التعزيز (إهداء هدايا لبعض الطلاب عند السمعاني) على المحافظة على تجديد بذل المتعلم لجهده •

أما طريقة المحاضرة التي وضح أن السمعاني يتبناها فقد أشارت معظم الدراسات التربوية الحديثة إلى أنها تناسب كبار المتعلمين ولا تناسب الصغار ،وهذا ما كان يتحقق فيما يظهر لنا من آراء السمعاني ،فالإملاء كان يتم لطلاب قطعوا شوطاً كبيراً في التعليم العام حتى انتهوا إلى حضور حلقات متخصصة لدراسة علم معين كالحديث أو النحو أو غيرهما

وقد وضع بعض الباحثين المعاصرين شروطاً لتنظيم المحاضرة بحيث تصبح طريقة تدريس ناجحة منها ما ذكره جيج وبرليز عام ١٩٧٩ (٢٦_٤٤٢ : ٤٧٥) وهو :

(١) أن تحتوى المحاضرة على مقدمة تهدف إلى إقامة علاقة بين المحاضر وطلابه مثل تعريفهم بنفسه أو سؤاله اياهم عن أسمائهم وقد أشار السمعاني بوضوح إلى هذه ،

الخطوة ضمن واجبات المعيد •

(٢) توجيه انتباه الطلاب من خلال : إخبارهم أن هناك نوعاً من التقييم ينتظرهم (= المعارضة عند السمعانى) أو اختيار بعض الطلاب للقيام بأدوار معينة (= اختيار مستمل أو أكثر من مستمل وتحديد واجباته) •

(٣) تقديم المادة التعليمية (= خطوة موجودة بالضبط عند السمعانى) •

(٤) استخدام منظمات متقدمه للمحاضرة (= ذكر مع سمع منهم الشيخ عند السمعانى ، أو سؤال المستملى عن ذلك فيجيبه) •

(٥) معرفة خبرات التلاميذ ذات الصلة بموضوع المحاضرة (لا نستطيع ايجاد خطوة مماثلة لها عند السمعانى) •

إن آراء السمعانى فى كيفية تنفيذ المحاضرة كطريقة تدريس تكاد تتطابق مع هذه الشروط الحديثة •

خامسا : نمط التعليم

إن النمط التعليمى الذى يبدو أن السمعانى يفضله هو ذلك النمط الذى يركز على جانبين رئيسيين :

أولهما : إعطاء الدور الرئيسى فى عملية التعليم للمعلم وليس للطالب •

وثانيهما : إعطاء المعرفة جانباً أكبر من الأهمية دون الخبرة الحسية •

ويمكن أن نجد هذا النمط واضحا عند " أوزوبل (١٩٦٨) الذى يقول فى كتابه " علم النفس التربوى : وجهة نظر معرفيه " (٢٧ : ٣١١) إن خير دافع للتعلم هو الدافع المعرفى أى رغبة المتعلم فى التعلم واكتساب المهارات العقلية وهنا يكون الدور الرئيسى للمعلم هو التعليم الجيد الذى يوضح المادة التعليمية بصورة فعاله تستثير رغبة التلميذ فى التعلم •

ويبدو أن أوزوبل لا يؤمن بدور المتعلم فى العملية التعليمية بالصورة المبالغ فيها التى يذهب اليها بعض أنصار التربية الحديثة • بل أنه يقول بالتحديد " إن التربية ليست تعلما ذاتيا " (المرجع السابق ـ ٣٣) ، وانما التربية فى رأيه تتم من خلال ترتيب المواد التعليمية بواسطة شخص واع يفسرها وينظمها ويقدمها بصورة مناسبة • ولايجوز أن تنقل المدرسة هذه المسئوليات إلى الطالب بدعوى التقدمية أو ديمقراطية التعليم •

ولهذا الرأى ظلال أيضا فى بعض كتابات سكنر الذى يقول فى كتابه " التدريس التكنولوجى " ان المرء يتعلم ذاتيا من البيئة الطبيعية ،ولكن المعلمين ينظمون ظروفاً خاصة تسهل عملية التعلم وتعجل باكتساب السلوك المرغوب فى تعليمه . إذ ربما يتعلم الطالب بصورة بسيطة تلقائية ،وربما لايتعلم السلوك أبداً إذا لم يتم تنظيم تعليمه إياه أى بواسطة المعلم . (٢٨ :ص ص ٦٤ : ٦٥) .

وهكذا نجد أن النمط الذى تبناه السمعانى وهو النمط المعرفى القائم على المعلم ليس ببعيد عن فكر أوزوبل وسكنر وكلاهما من جهابذة التربية الحديثة الأول فى المناهج والثانى فى علم النفس التعليمى .

إلى أى حد يمكن الافادة من آراء السمعانى ؟

من الموازنة السابقة يتضح أن هناك تقارباً بين كثير من آراء السمعانى التربوية وآراء بعض علماء التربية المحدثين .

ويمكننا تصور عدة تطبيقات تربوية يمكن الإفادة فيها من آراء السمعانى التى وضحت سابقا على النحو التالى :

أولا : فى مجال المناهج وطرق التدريس

(١) من الضرورى أن تراجع كتب اللغة العربية والتربية الدينية بحيث يتم توثيق الأحاديث النبوية وبيان درجة صحتها . فعلى سبيل المثال يكثر ذكر حديث " أطلبوا العلم ولو بالصين " فى كتب تاريخ التربية وفى مجال حث الاسلام على طلب العلم . وهذا الحديث ضعيف. وهناك أحاديث أخرى أصح منه وأوضح دلالة على أهمية طلب العلم يمكن اللجوء إليها لتحقيق هدفين :

١ / ١ : التحرز من المسئولية الدينية برواية الضعيف.

١ / ٢ : تعويد الطلاب على توثيق مصادر معرفتهم وضبطها .

(٢) قد يكون من الأفضل فى تدريس بعض المواد مثل التاريخ ومبادئ العلوم والصحة ـ فى المراحل الأولى من التعليم ـ الاعتماد على أسلوب القصص كأسلوب جذاب مشوق سواء أكان ذلك فى عرض المادة فى الكتاب متبوعة بتقويم ملائم ،أم كان فى عرض المادة داخل الفصل .

(٣) يجب وضع معايير لاختيار الكتب المقررة بحيث يكون للمادة الواحدة أكثر من كتاب يعرض المادة بطريقة مختلفة ، ويعطى قدر من الحرية للمديريات التعليمية • وبالتالى للادارات ثم للمعلمين ـ لاختيار ما يرونه أفضل هذه الكتب فى ضوء كفاياتهم الشخصية ، ومعرفتهم بقدرات تلاميذهم •

(٤) أن يراعى المعلم فى أثناء تدريسه النواحى الإنسانية إلى جانب عنايته بالتحصيل وتحقيق نتائج رقمية عينة •

(٥) ويتصل بالنقطة السابقة أهمية الفصل بين الطلاب وتصنيفهم طبقاً لمعايير التحصيل وليس طبقاً لمعايير السن ويؤيد هذا الاتجاه ماتأخذ به الدولة حالياً من سياسة تحويل الطلاب الفاشلين فى الثانوى العام إلى التعليم الفنى • فلو تم منذ البدء التصنيف على أساس القدرات العقلية لأمكن تخفيض الفاقد من التعليم الثانوى العام •

ثانيا : فى مجال اعداد المعلم وتقويمه

(١) يجب أن يقوم تقويم آداء المعلم على نجاحه فى مهمته ليس من خلال نتيجة آخر العام كما هو السائد غالباً ، بل على أساس تقدير تلاميذه له وهو معيار معروف من معايير تقويم المعلمين • حيث أن تغليب هذا المعيار سيجعل المعلم حريصا على :

(أ) الظهور بمظهر أخلاقى أفضل •

(ب) تبنى سياسة تعليمية لا تقوم على العقاب •

(جـ) التلطف فى معامله طلابه •

(٢) يجب أن تضم برامج إعداد المعلمين فى كليات التربية مقررات أو انشطة تلبى الجوانب الأخلاقية فى تربية معلمى الغد •

(٣) يجب زيادة جرعة الثقافة الدينية فى إعداد المعلمين ـ وهى غير موجودة بالمرة حاليا فى برامج كليات التربية فى حدود علم الباحث وخبرته ـ وهذا القصور يمكن النظر إليه على أنه خلل تشريعى فعلى حين ينص الدستور المصرى منذ عام ١٩٨٠ على أن الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع (المادة الثانية) نجد أن أيا من اللوائح الداخلية لكليات التربية فى مصر لم تطور نفسها بعد ذلك التاريخ لتلائم ما حدث فى الدستور من تغيير • وبالتالى فمن الممكن أن يتخرج معلم العلوم أو الرياضيات أو المواد الاجتماعية ـ بل واللغة العربية أحيانا ـ فى الجامعة ويحصل

على درجة علمية تؤهله للتدريس ،وهو يجهل أبسط قواعد دينه الذى يتطلب منــــه ترسيخ مبادئه فى نفوس طلابه من خلال مادته أيا كانت . .

ثالثاً : فى مجال العمل المدرسى

فى ضوء ما تنشره الصحف بين الحين والآخر من حوادث إعتداء الطلاب على المعلمين يجب أن تتبنى المدارس الحالية أنظمه فعاله تغرس حب المعلم وتقديره فى نفوس التلاميـــذ بطرق أكثر ملاءمة فى ضوء عدد من المتغيرات المتسارعة التى تهدد هذه القيمة النبيلة الــتى أكد السمعانى أهميتها . فمن هذه المتغيرات.

- التراجع الجزئى لدور المعلم كقدوة فى مقابل سيطرة التليفزيون .
- إتجاه بعض المعلمين إلى الكسب عن طريق الدروس الخصوصية مما يفقدهم كثيــراً من احترام تلاميذهم .
- تراجع دور الأسرة التربوى بفعل انشغال الأبوين بالعمل أو غيره وظنهم أن المدرسة كافية لتربيــة أبنائهم .

فى ظل هذه المتغيرات يجب على المدارس أن تعيد النظر فى العلاقة بين الطـلاب والادارة وبين الطلاب والمعلمين .

((ملخص نتائج البحث))

من أهم النتائج التى يمكن ابرازها بعد هذا البحث ما يلى :

(١) أن استقاء أفكار تربوية تعضد نظم التعليم المعاصرة من واقع التاريخ العربى والفكر التربوى الإسلامى ، أو مشروع وذو جدوى وليس رده حضارياً أو تعصباً أعمى كما كما يطيب للبعض أن يسميه . فالسؤال البديهى الذى يطرحه الباحث بعد هذه الجوله : اذا كان من الضرورى أن نستعير أفكارا غربية حول نظريات التعليم بوصفها من العلوم المحدثة ، فهل من الضرورى أن نستعير ما يتصل بقيم التعليم ونظريات الفكر التربوى من الغرب أيضا ؟ .

(٢) أن تجديد الذات العربية يتم بصورة أفضل بالعودة إلى منابع الثقافة العربية الأصيلة وغربلة ما يحتاج منها إلى غربلة بهدف اقامة التوازنات الضرورية بين الأجيال والمعاصرة .

(٣) استطاع السمعانى أن يقدم آراء تربوية عديدة فى عدة مجالات يمكن تفصيلها على النحو التالى :

(أ) فى مجال أخلاقيات المهنة ومبادئ العمل التربوى :

- أكد أهمية احترام العمل كقيمة .
- واحترام مواعيد العمل .
- وضرورة مراعاة كون المعلم قدوة خارج وداخل مكان التدريس .
- ومراعاة أهداف التعليم فى كل خطوات العملية التربوية .
- والالتزام بالأمانة العلمية .

(ب) فى العلاقة بين المعلم والمتعلم .

- حدد للمعلم صفات جسمية وخلقية تتعلق بمظهره المادى والمعنوى ضماناً لحسن الأداء ونأيا به عن السخرية .
- أكد ضرورة التزام المعلم بتحضير درسه واعتماده على أكثر من مصدر علمى
- أشار إلى استخدام المعلم لما يراه محققا لغاية التعليم من وسائل معينة .

(جـ) فى عملية التدريس .

- أكد أهمية استشارة الدافعية قبل بدء التدريس .

- ذكر خطوات طريقة التدريس بالمحاضرة تفصيلاً .
- أكد أهمية توفر الهدوء داخل قطاعات التدريس .
- أشار إلى عدة مبادئ مهمة في عملية التدريس : مثل درجة ارتفاع الصوت ، واستخدام التعزيز ، والسماح ببعض الحركة البسيطة داخل الفصل .
- أكد أهمية وجود روح التعاون والتواد بين الطلاب .

(٤) كتاب السمعاني صورة جيدة لأوضاع التعليم العالي في النصف الأول من القرن السادس الهجري . وقد أشار بالتفصيل إلى نظام المعيدين الذي كان معروفا في ذلك الوقت . وذكر شروطا مهمة لتعيين المعيدين منها : التمتع بقدرة لغوية وطاقة جسمية مناسبة لوظيفته ، وأن يكون مقبولاً اجتماعيا أي ذا خلق حسن ، وأن يكون ذا خبرة سابقة بمجال عمله ما أمكن . وأن يكون ملتزما بواجباته منتميا بشيخه ومهنته .

(٥) ان حديث السمعاني عن أدوات التعليم وآلاته ، ذو قيمة تاريخية بحته بمعنى أنه يفيدنا في التأريخ للتعليم في ذلك العصر . ولكن لا نستطيع من خلاله استنتاج أي قيمة معاصرة في نظامنا التعليمي باستثناء مبدأين ذكرهما :—

- أن يأتي الطالب إلى فصله ومعه أدواته كاملة حتى لا يتعطل ويعطل غيره .
- أن يعمل نظام التعليم على تحسين خطوط الطلاب . وللأسف فهذه قيمة مفقودة حاليا في نظم التعليم ، بل وفي مناهج إعداد المعلمين في كليات التربية .

المراجـــع

حسب ترتيب ورودها في البحـــث

١ – فاخر عاقل ، معالم التربية ،ط ٥ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ .
٢ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان . تحقيق احسان عباس ،بيروت : دار صادر . د .ت
٣ – علي زيعـور ،التربيةوعلم نفس الولد في الذات العربية . بيروت : دار الأندلـــس ١٩٨٥ .
٤ – السمعانـي ،أدب الإملاء والاستملاء ،بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨١ .
٥ – ياقـوت الحموي ،معجم الأدباء ، ط٣ ،بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٠ .

6- Blackington and Patterson, School Society and the Professional Educator. (N.Y: Holt Rinehart and Winston Inc. 1968).

7- Mitchell, G.D, Dictionary of Sociology (London: Rontledge and Kegan paul Ltd. 1968).

8- Lieberman, M. Education as a prafession, 6 th ed. (N.J: Prentice Hall Inc. 1964).

9 - Mosher, F.C. Democracy and the Public Service. (N;Y: Oxford Pren. 1968).

١٠ – أحمد حسن عبيد ،فلسفة النظام التعليمي وبنيه السياسة التربوية . دراسة مقارنـــة القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦م .

11- Evertson C. M. Emmer and etal, Classroom managment for Elementry Teaching. N. J: Prentice Hall Inc. 1984.

12- Slavin, Robert, Educational Psychology: Theory into practice. N. J: Prentice Hall Inc. 1986.

13- Conklin, John E. Sociology. N. Y: Macmillan Publishing Co. Inc. 1984.

14- Cheers, A. L and Caster, L. J. Teaching and Learning in the Model Classroom. N. Y: Exposition Press 1974.

15- Dembo, Myron. H. Teaching for Learning Illinois: Scott & Foresman. 1981.

16- Jersild, A. and etal, Education for Self- Understanding the Role of Psychology in the High School Program. N.Y: Teachers college Press; Columlia Univ. 1953.

١٧ـ محمود عبد الرازق شفشق ،وهدى محمود الناشف ،ادارة الصف المدرسي ،القاهرة : دار الفكر العربي

١٨ـ على الشوبكي ،المدرسة والتربية وادارة الصفوف ،بيروت : دار مكتبة الحيـــاة ، د ٠ت٠

19- Reilly, Robert and Lewis, Ernest, Educational Psychology N. Y: Macmillan Publishing Co. Inc. 1983.

٢٠ـ روبرت وودورث ،مدارس علم النفس المتعاصرة ،ترجمة كمال الدسوقي ،بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨١٠

٢١ـ محمد سيف الدين فهمي ،النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية٠ القاهـرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢٠

٢٣ـ محمد عطية الابراشي ،التربية الاسلامية وفلاسفتها ٠ ط٣ ،القاهرة : مكتبـــــة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٩م٠

٢٤ـ عمر محمود التومي الشيباني ،فلسفة التربية الاسلامية٠ ط٥ ٠ ليبيا : طرابـــلس المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، ١٩٨٥م٠

25- Stone, D. Rand Nilson, Ec. Educational Psychology: The Development of Teaching Shills. NY: Harper & Row. 1982.

26- Gage, N. L, and Berliner Davidc: Education Psychology. 2 nd ed Chicago: Rand Mc Nally colled Publishing Co. 1979.

27- Au ubel, D. P., Educational Psychology: Acognitive View. N. Y: Holt, Rinehart and Winston. 1968.

28- Skinner, B. F. The Technology Teaching N. Y: Appleton Appleton Contury Crofts. 1968.

ملاحظتــان :

* يقع كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان فى ثمانية مجلدات ،ويقع معجم الادباء لياقــوت فى عشرين جزءا فى عشرة مجلدات. واختصارا قد ترد فى تقرير البحث(متن البحث) اشارة الى أى منهما على النحو التالى :(ياقوت(٤ / ٦١) فمعنى ذلك أن المعلومة موجود، فى الجزء الرابع الصفحة السادسة عشرة. وقد اتبع ذلك اختصارا .

* وردت مراجع أخرى ثانوية ذكرها الباحث فى هوامش الصفحات داخل البحث ولـــم يعد ذكرها هنا لانها ذكرت لمجرد استكمال معلومة ثانوية.